جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

الموضوع:

المجازر الجماعية الفرنسية في الجزائر [1830-1852] العوفية والأغواط (أنموذجا)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبات:

- هجيرة سراي
- فتيحة داودي
- خضرة مشيكل

إشراف الأستاذ:

* عمر جفال

لجنة المناقشة

الدكتور:	**أ/ بن سعيدان محمد**	**رئـــــيسا**
الدكتور:	**أ/ جفال عمر**	**مـــــشرفا**
الدكتور:	**أ/ يزير محمد**	**مـــــناقشا**

السنة الجامعية: 2020/2019م

شكر و عرفان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه و امتنانه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه و نشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه و سلم.

بعدشكراللهسبحانهوتعالىعلىتوفيقهلنالإتمامهذاالبحثالمتواضعنتقدمبجزيلالشكر

إلى الذين أعانونا و شجعونا على الاستمرار في

مسيرة العلم و النجاح، وإكمال الدراسة الجامعية والبحث؛كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى من شرفنا بإشرافه على مذكرة بحثنا الأستاذ الدكتور "**عمر جفال** "الذي لن تكفي حروف هذه المذكرة لإيفائه حقه بصبره الكبير علينا، ولتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن؛والتي ساهمت بشكل كبي رفي إتمام واستكمال هذا العمل؛ إلى كل أساتذة قسم التاريخ

كما نتوجه بخالص شكرنا وتقديرنا إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز وإتمام هذا العمل.

«هجيرة، فتيحة، خضرة»

إهداء

بسم الله الذي لا يطيب العيش إلا بشكره ولا تطيب الأيام إلا بذكره ولا تطيب الدنيا إلا بطاعته ولا تطيب الأخرة إلا بعفوه ولا تطيب الجنة إلا برؤيته والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أخف كلمة على اللسان، وأثقلها في الميزان إلى من غمرت قلبي حنانا ورعاية وروت ظمأ حياتي كلها إلى العيون التي سهرت الليالي أغلى ما في الوجود نبع العطف والحنان أمي الغالية.

إلى الذي مهد لي طريق الدراسة قدوتي وسر نجاحي أستاذي الأول وإلى من أحمل اسمه بكل افتخار أبي العزيز «مسعود».

إلى أخواتي وأخي.

إلى رفيق دربي وسندي في الدنيا زوجي.

إلى كل من يربطني بهم حبل المودة والصداقة.

إلى كل من نسيتهم مذكرتي و لم تنسهم ذاكرتي إلى كل من أحبني في الله.

«هجيرة»

إهداء

أهدي ثمرة عملي هذا إلى:

الوالدين العزيزين الذي يقول الله سبحانه تعالى فيهما:(**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا**)

من جعل الله الجنة تحت أقدامها إلى من غمرتني بفيض حنانها وعطائها اللا محدود

إلى أعز ما أملك في الوجود «أمي». حفظها الله ورعاها.

إلى من علمني ومن ضحى بقوته وشبابه إلى من رباني على مكارم الأخلاق «أبي» العزيز أطال الله في عمره وحفظه من كل سوء.

إلى اخوتي الكرام حفظهم الله.

إلى كل أفراد العائلة داودي و جودي إلى كل الأصدقاء والأحباب.

«فتيحة»

إهداء

أحمد الله عز وجل على من هو عونه لإتمام هذا البحث.

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله ، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى،إلى الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة ،إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم ،إلى مدرستي الأولى في الحياة،

أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره ؛

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان ،إلى التي صبرت على كل شيء،

التي رعتني حق الرعاية وكانت سندي في الشدائد ،

وكانت دعواها لي بالتوفيق ،تتبعتني خطوة بخطوة

في عملي،إلى من ارتحت كلما تذكرت ابتسامتها في وجهي

نبع الحنان **أمي** أعز ملاك على

القلب والعين جزاها الله عني خير الجزاء في الدارين؛

إليهما أهدي هذا العمل المتواضع ليك أُدخل على قلبهما شيئا من السعادة إلى

إخوتي وأخواتي الذين تقاسموا معي عبء الحياة؛

إلى كل أساتذة قسم علوم التاريخ؛

وإلى كل من يؤمن بأن بذور نجاح التغيير هي في ذواتنا وفي أنفسنا

قبل أن تكون في أشياء أخرى...

«خضرة»

مقدمة

تنبع أهمية البحث من أهمية الموضوع الذي تطرقنا إليه، فهي تعالج قضية جريمة الإبادة الجماعية الفرنسية في الجزائر الذي باتت تدخل ضمن الذاكرة الاستعمارية الجزائرية، التي تسعى الأطراف الاستعمارية الرأسمالية إلى إخفائها والتنصل من تبعتها، فجرائم الاستعمار الفرنسي بالجزائر منذ بداية الاحتلال إلى غاية الاستقلال، فعمليات الإبادة الجماعية ضد قبائل وعشائر بأكملها دون التمييز بين الكبير والصغير، ولا بين النساء والعجزة، بالإضافة إلى أساليب فظيعة في تعذيب الجزائريين، فكل هذه الأساليب وغيرها هي أعمال إجرامية ضد الإنسانية.

يتناول موضوع مذكرتنا "المجازر لجماعية في الجزائر من 1830-1852 قبيلة العوفية ومدينة الأغواط نموذجا"، فجرائم الإبادة التي اتبعتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إبان الاحتلال عام 1830 والذي دام ما يقارب 132عام، إذ نفذت السلطات الفرنسية خططا إجرامية لإبادة الجزائريين وعمدت إلى استخدام كل الأدوات القمعية المتوفرة لديها، شملت كل فئات الشعب دون تمييز، وارتكبت السلطات الفرنسية مئات المجازر الجماعية، واستعانتها بعدة وسائل وقوانين عقابية تتعارض مع القوانين والأعراف الدولية، نظرا لتعدد الجرائم الفرنسية في الجزائر منذ الاحتلال إلا أننا سنكتفي بالحديث عن مجزرة قبيلة العوفية 1832 التي أمر "دوريفيقو" بإبادتها نهائيا، التي تعد شاهدا حيا على جرائم فرنسا وكذلك المجازر التي ارتكبت في الأغواط 1852 التي أبيد سكانها واستخدامهم للأسلحة الكيماوية من أجل إبادتهم.

دواعي اختيار الموضوع

الغاية من موضوعنا هذا هو إبراز مدى بشاعة ما ارتكبه الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وذلك من خلال تصريحاتهم التي تؤكد جرائمهم في حق الإنسانية، والتي أثرت على جميع الجوانب الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية وحتى المعنوية منها، لا زالت تشهد لها الأجيال المتتالية ولا يمكن للتاريخ إنكارها، فقد اعتمد الجيش الاستعماري الفرنسي في استراتيجياته القتالية سياسة الحرب الشاملة، والإبادة الجماعية من أجل طمس الهوية الجزائرية وترسيخ فكرة الاحتلال في البلاد، وبذلك يحقق الحكام الفرنسيون مطامعهم الاستيطانية بشتى الوسائل الوحشية بتسليط القمع الجماعي بكل أشكاله.

للغازي الفرنسي بكل شجاعة بالرغم من اختلاف ميزان القوة بينهم وبين عدوهم ويعود اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية

الأهداف من الموضوع

دراسة الأساليب القمعية التي استعملتها الحكومة الفرنسية لإخضاع الشعب الجزائري واستغلال خيرات بلاده، بأي وسيلة كانت حتى وإن كانت الإبادة الجماعية قتلا وحرقا أو حتى خنقا بدخان كما التي قام بها الجنرال "بيجو"، فكما توجد عدة جرائم وتسميات ارتبطت ارتباطا وثيقا بمرتكبيها فهي نماذج لضباط عديمي الرحمة، والذين يظهرون التزامهم بالأعراف والمبادئ الأخلاقية.

إشكالية الموضوع

***ما هي أهم المجازر الجماعية التي ارتكبتها فرنسا خاصة في منطقة العوفية والأغواط؟**

تساؤلات الفرعية:

تندرج تحت الإشكالية الرئيسة التساؤلات التالية:

- فيما تتجلى الأصول التاريخية من أجل فهم المشروع الاستعماري الفرنسي؟
- كيف يمكن استغلال كتابات جنرالات الجيش الفرنسي، في التعرف على الجرائم التي ارتكبوها في حق الجزائريين؟
- فيما تمثلت جرائم الجيش الفرنسي ضد الجزائر في فترة الحكم العسكري من خلال أسلوب الإبادة الجماعية؟
- كيف ساهمت شهادات قادة جيش الاحتلال في توثيق جرائمهم؟
- ما هي الوسائل التي استعملها الفرنسيون في ارتكاب الجرائم؟

منهج البحث

للإجابة على الإشكالية المطروحة والتساؤلات الفرعية اعتمدنا على منهجين:

أولا المنهج التاريخي الوصفي: لأن طبيعة الموضوع تفرض علينا سرد الأحداث التاريخية ووصفها.

ثانيا المنهج التاريخي التحليلي: لأن طبيعة هذا الموضوع لا تنتهي بسرد الأحداث التاريخية ووصفها المجرد، وجمع المادة التاريخية من خلال دراسة الأحداث التاريخية وتحليلها للوصول إلى تفسير منطقي لها لتحقيق المراجعة بعيدا عن التزييف والتحريف والمزايدة الذاتية المفروضة لان هدفنا هو الوصول إلى الحقيقة التاريخية قدر المستطاع.

خطة البحث

للإجابة على الإشكالية المطروحة والتساؤلات الفرعية قمنا بوضع الخطة الآتية، حيث قسمنا العمل إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول بالإضافة إلى خاتمة وجاءت الفصول كالأتي:

الفصل التمهيدي: تطرقنا من خلاله عن لمحة عن الاحتلال الفرنسي للجزائر، وينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث.

المبحث الأول بعنوان بدايات الجرائم الفرنسية في الجزائر منذ الاحتلال وكيف قام المستعمر الفرنسي بسياسته الوحشية في الإبادة الجماعية للشعب الجزائري، وذكرنا مثالا عن ذلك قبيلة العوفية 1832 التي أبيدت بأمر من الدوق دوريفيقو، وإبادة قبيلة أولاد رياح بغار الفراشيش 1845، وذلك بأمر من الكولونيل بيليسي ومحرقة الصبيح بالشلف بقيادة كافينياك.

أما **المبحث الثاني** بعنوان جغرافية الأغواط وتعرفنا فيها عن موقع الأغواط ولمحة عن تاريخ وسكان الأغواط.

المبحث الثالث بعنوان مفهوم الجرائم ضد الإنسانية.

الفصل الأول تطرقنا فيه للمجازر الفرنسية في العوفية 1832 وقد قسمناه إلى أربعة مباحث المبحث الأول بعنوان أسباب المجزرة وذكرنا موقعها، والأسباب التي أدت الجنرال دوريفيقو إلى الأمر بإبادتها.

أما المبحث الثاني بعنوان سياسة الإبادة والقمع الفرنسي، فعمليات الإبادة والقمع ضد الجزائريين صورة تعكس مدى بشاعة الغزو الفرنسي من أجل تحقيق أغراض توسعية استعمارية استيطانية.

أما المبحث الثالث المقاومة الشعبية الجزائرية ضد فرنسا والتي كانت تحت قيادة محمد بن زعموم المبحث الرابع بعنوان جرائم بعض الجنرالات الفرنسيين في الجزائر فقد عالجنا فيه موضوع

السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وعمليات الإبادة الجماعية التي طبقوها من خلال تصريحاتهم واخترنا الجنرال كلوزيل، الدوق دوريفيقو، شونقاريني، بيجو، لاموريسيير، دو سانت أرنو.

الفصل الثاني: تطرقنا فيه إلى المجازر الفرنسية في الأغواط 1852 الذي ينقسم إلى أربعة مباحث المبحث الأول بعنوان بدايات الاهتمام الفرنسي بالأغواط، الذي كان عن طريق رحلات استكشافية تجسسية قام بها الفرنسيون واعتمدوا على ذلك، عبر الرحلات الأولى التي قام بها الأوروبيون من أجل التوسع في الصحراء.

أما المبحث الثاني بعنوان طبيعة القوات المحاصرة لمدينة الأغواط، لأن الاستعمار الفرنسي لم يستطيع السيطرة على المدينة إلا بعد أن جيش لها خيرت رجاله وقام بمحاصرتها من كل جوانبها بقيادة الجنرال يوسف والعقيد بان والعقيد ترومللي والجنرال بيليسي والجنرال بوسكارين والقائد موران.

المبحث الثالث بعنوان المقاومة الشعبية وظهور شخصية بن ناصر بن شهرة خلال فترة الخمسينيات، وأثره البالغ على حركة المقاومة الشعبية في الصحراء الجزائرية بشكل عام وخاصة في الجنوب الشرقي بشكل خاص، بعد تحالفه مع شريف ورقلة محمد بن عبد الله ومقاومتهم للزحف الفرنسي.

المبحث الرابع بعنوان الإبادة الجماعية بالأسلحة الكيماوية الهولوكوست وسقوط ثلثي سكان الأغواط عن طريق الحرق والقتل بمختلف الأسلحة، وقد خلت المدينة من سكانها وسمي عامها في الذاكرة الشعبية بعام الخلية، وحولت إلى مركز عسكري كما وصفها أحد الضباط الفرنسيين بأن ما حدث في المدينة يعتبر هولوكوست حقيقي.

الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى الجرائم الفرنسية في العرف الدولي، وقسمناه إلى أربعة مباحث المبحث الأول بعنوان مفهوم العرف الدولي.

المبحث الثاني تطبيق القواعد الإنسانية العرفية على جرائم الاحتلال الفرنسي وتطرقنا فيه بداية لدراسة الطابع المؤقت للاحتلال ثم بعض جرائمه.

المبحث الثالث المسؤولية الجنائية عن الجرائم الاحتلال الفرنسي، وهذا بسبب الآثار المترتبة لانتهاك الاحتلال الفرنسي للقانون الإنساني والعرف الدولي.

المبحث الرابع بعنوان أساس التعويض في القانون الدولي الإنساني، الحديث بكثافة عن جبر الأضرار الناشئة عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني.

المصادر والمراجع

اعتمدنا بشكل كبير على كتاب أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية 1830-1900، ج1، لتغطية جوانب عديدة من موضوع دراستنا، وكذلك كتاب تاريخ الجزائر الحديث 1970.

كما اعتمدنا على كتاب حمدان بن عثمان خوجة المرآة الذي ساعدنا كثيرا في مجازر العوفية، كما ساعدنا كتاب عمار هلال دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962.

واعتمدنا بكثرة على الشريط الوثائقي عام الخلية، حول الإبادة الجماعية للأغواط التي ارتكبتها فرنسا في الأغواط سنة 1952، وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، الجزء2، الجزء3.

ومن المقالات التي اعتمدنا عليها في بحثنا ما يلي:

- عيسى بوقرين، الهولوكوست الفرنسي في الأغواط، 4 ديسمبر 1852، مجلة قضايا تاريخية، جويلية 2019.

- كاظم العبودي، الأغواط أول مدينة تعرضت لهولوكوست فرنسي في العالم، مقال الأمة العربية، 09-08-2009.

- علال محمود، اهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية- الأغواط نموذجا، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد2.

- سمير شوقي، جرائم الاحتلال الفرنسي على ضوء الأعراف الإنسانية، جامعة سطيف 02، العدد 04، 2015.

الصعوبات

إذا تحدثنا على صعوبات أي بحث فإننا لا نخرج عن إطار العراقيل التي تواجه صاحب أي بحث أكاديمي، من تشتت المادة العلمية في المكتبات، بالإضافة إلى ذلك الوضع الحالي "جائحة كورونا" التي منعتنا من التنقل من أجل المادة العلمية، والتي منعتنا أيضا من الالتقاء بأعضاء البحث والأستاذ المشرف.

الفصل التمهيدي:

لمحة عن الاحتلال الفرنسي للجزائر

المبحث الأول: بداية الجرائم الفرنسية في الجزائر منذ الاحتلال

لقدتم احتلال الجزائر بشق الأنفس، تم التعبير عن ذلك جيدا حين قال "بيجو" أراد أ يشن حربا تدميرية، حيث جاء في تصريح "لألكسيسطوكفيل": "أنه كان ينبغي تدمير المدينة برمتها في الأقاليم التي لم يتم التحكم فيها"، فلم يشهد التاريخ أي احتلال أطول وأقسى من هذا الاحتلال لطول فترة المقاومة الشعبية للاحتلال[1].

إن حرب الإبادة التي قادها الاستعمار على الشعب الجزائري إما بشكل مباشر أو غير مباشر خلال الفترة الممتدة من سنة 1830 إلى سنة1871 قد ساهمت في وفاة ملايين الجزائريين ومعظمهم كانوا من سكان الأرياف، والذين أضنتهم وأفنتهم المجاعات والأوبئة والمعارك الطاحنة وأعمال التخريب والتشريد[2].

فمنذ 12 نوفمبر 1830 أكد الماريشال جيرارد "Gerard" بعد تسليم أوامر الملك أنه أعلم جنرال جيش إفريقيا كلوزيل أن الحكومة الفرنسية عزمت على الاحتفاظ بالجزائر لفتح أرض واسعة للفائض من سكانها ولتسويق إنتاج مصانعها[3].

كما تعرض الشعب الجزائري إلى إبادة حقيقية ومنظمة، ولم يكن النظام العسكري وحده المسؤل عنها، وإنما حتى النظام المدني هو الأخر ساهم في الإبادة بتوجه من المعمرين الذين سيطروا سيطرة تكاد تكون شبه مطلقة على نظام الحكم في الجزائر، في الطريق التي انتهجتها إدارة الاحتلال الفرنسي في إبادة الشعب الجزائري لم ترى البشرية خلال القرن 19 مثلها إلا نادرا، مناقضين بذلك شعاراتهم الجوفاء في الثورة الفرنسية عام 1879 "حرية، مساواة، أخوة"، التي تبنتها جمعيات الدفاع عن حقوق الإنسان[4].

1- عثمان زقب، إبادة الجزائريين خلال الاحتلال الفرنسي بين الأفعال المعزولة والإستراتيجية الاستعمارية، مجلة البحوث والدراسات، العدد16، 2013، ص307.

2- نفسه، ص307.

3- أندري نوشي وأندري برنيان وأيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح، منصفعاشور، الأكاديمية الجزائرية للوثائق والمصادر التاريخية 95-98، شارع سبيستول، باريس، فرنسا، 1960، ص233.

4- عثمان زقيب، مرجع سابق، ص308.

إن سياسة الإبادة الجماعية من إبادة العنصر البشري، وجرائم منظمة في حق المجتمع الجزائري ثقافيا ودينيا، إلى جانب الجرائم غير المباشرة التي تعكس وجهها الحقيقي للمشروع الاستيطاني كلها جوانب خطيرة، كشفت أهداف فرنسا الكامنة وراء الاحتلال العسكري[1].

فالاستعمار الفرنسي وهو يطأ أرض الجزائر سياسة الحرب الشاملة، واستئصال العنصر الوطني الجزائري، فقد أحرق مداشير بأكملها، كما شرد عائلات ونفها وهجرها[2].

يبدو أن هذه الحملة قد حققت الأهداف الرسمية التي كانت ترجى منها، كما هو مبين في جدول أعمال برومون بتاريخ 6 جويلية[3].

فكل جنرالات فرنسا الذين تعاقبوا على الجزائر منذ الاحتلال إلى الاستقلال، يشتركون في مبدأ واحد وهو القضاء على روح المقاومة لدى الشعب الجزائري، وتجريده من كل مقومات الحياة، فلا فرق في ذلك بين "كلوزيل"، "الدوق دوريفيقو"، "برومون"،"الماريشال سولت"،"دوفال"، صاحب جرائم 08 ماي 1945[4].

هكذا كان الحقد دما ضد الشعب الجزائري من طرف الفرنسيين عسكريين ومثقفين[5].

لقد تعددت الجرائم ولمجازر المرتكبة في حق الشعب الجزائري من دخول المستعمر الفرنسي إلى الاستقلال، فقد أردنا ذكر بعض النماذج من جرائم الإبادة الجماعية ضد الشعب الجزائري.

أولا: قبيلة العوفية: ففي الخامس من شهر أفريل 1832 أعطى الدوق دوريفيقو تعليمات عسكرية لإبادة قبيلة العوفية،وهي قبيلة تسكن ضواحي دار المربعة قرب واد الحراش، وقد تم

1- عثمان زقيب، مرجع سابق، ص 308.

2- بوزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال "بيجو" إلى الجنرال " أوساريس"، دار الهمة بوزريعة الجزائر، 2015، ص21.

3- أندري نوشي وأندري برنيان وأيف لاكوست، مرجع سابق، ص233.

4- بوزيان سعدي،مرجع سابق ص 21.

5- نفسه، ص21.

الهجوم ليلا، أين كانت القبيلة نائمة، و لم تفرق بين الكبير والصغير ولا بين الرجل والمرأة[1](**أنظر الملحق رقم01**).

ثانيا: إبادة سكان البليدة: بعد سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي، وتوقيع الداي حسين معاهدة الاستسلام في 5جويلية1830[2]، طويت مرحلة المقاومة الرسمية، وبدأت المقاومة الشعبية بقيادة شيوخ الزوايا وأعيان وزعماء القبائل[3].

في 22 جويلية 1830 غادر برومون مدينة الجزائر على رأس 1000 رجل مشاة من بينهم 300 فارس وبطاريات ميدان، ولما بلغ أسوار المدينة يوم 23 جويلية لم يجد مقاومة تذكر من سكانها، فقضى ليلة فيها، وفي فجر اليوم التالي أمر جنوده بالعودة إلى مدينة الجزائر، ولما هم بالخروج لاحظ الحراس أعداد هائلة من الجزائريين المسلحين النازلين من الجبال المجاورة، من قبائل بني صالح وبني مسرة وفق ما ذكره العقيد ترومللي، ولقد انهزم فيها جيش الاحتلال حيث فقد 150 قتيل، واضطر الأخرون للخروج من المدينة زحفا على بطونهم تفاديا للمزيد من الخسائر في الأرواح.[4]

ففي يوم 17 نوفمبر 1830 توجه الجنرال كلوزيل على رأس تلك القوات صوب مدينة البليدة وفي اليوم الموالي اشتبك مع مجاهدي قبيلة بني صالح، البالغ عددهم وفقا للمصادر الفرنسية 1800 مجاهد، والذين تحصنوا في المنطقة المسماة بلاد الجديدة للدفاع عن مدخل المدينة، ولكن نظرا لاختلال ميزان القوى بين الطرفين لصالح العدو، وبالرغم من المقاومة الباسلة التي أبدها

1- ونوغي نبيل وعلاء اليوسفي، جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر جريمة الإبادة الجماعية أنموذجا، مجلة البحوث التاريخية، العدد 12، ج1، 2018، ص235.

2- بن يوسف التلمساني، التوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2004-2005، ص44.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970، ص81.

4- خولة شلالي وسلمى كلاع، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر من خلال شهادات قادة الجيش الفرنسي 1830-1871، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ل.م.د، دفعة2، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2015-2016، ص27.

الجزائريون إلى أن قوات الاحتلال تمكنت من اقتحام المدينة ودفعت بالجزائيين إلى التراجع إلى جبال الشريعة وسيدي الكفير[1].

أمام القوات النارية لجيش العدو انسحب سكان المدينة العزل والتجئوا إلى الجبال تاركين البليدة خاوية على عروشها، حيث دخلتها قوات العدو وعاثت فيها فسادا ونهبت المنازل وعسكرة فيها تحولت المعركة إلى مناوشات من قبل الثوار الجزائريين الذين كانوا يباغتون عدوهم من حين إلى أخر بهجمات سريعة ويقتلون ما استطاعوا من جنوده.

وعلى إثر هذا الهجوم قام الفرنسيون بتنظيم مجزرة رهيبة ضد السكان العزل[2]، والتي اقشعرت لها الأبدان من هولها وفظاعتها حتى بين الفرنسيين أنفسهم، لم يرحموا فيها شيخا مسنا ولا عجوز ولا أمرآة ولا حتى الأطفال الرضع الذين ذبحوا من على صدور أمهاتهم[3]، حيث ذكر حمدان خوجة قائلا: "...وعندما قام بأعمال وحشية في المدينة وأحدثوا مجزرة رهيبة لم ينج فيها رجال ولا نساء ولا أطفال، هناك من يذكر انه تم قطع بعض الرضع من صدور أمهاتهم، ووقع نهب في كل مكان ولم يستثنى الجزائريون الذين فروا إلى هذه المدينة لينجوا من ظلم الحكومة الفرنسية، وليجدوا وسائل تمكنهم من العيش، إنني هنا بكل نزاهة ولا أروي وقائع الأحداث إلا كما جرت، وهكذا فإن عددا كبيرا ممن لم يكونوا يفكرون في خيانة الفرنسيين ولا حتى في معاداتهم قد وقع تقتيلهم في هذه الظروف..."[4].

ثالثا: محرقة الصبيح 1844: وكانت بمنطقة الشلف بقيادة كافينياك وهي ثاني جريمة ضد الإنسانية يرتكبها الجيش الفرنسي خلال احتلاله لبلادنا، بعد محرقة غار الفراشيش ببلدية تقماريةولاية مستغانم، فعلى الحدود ما بين بلدتي الصبيح وعين مران وبمنطقة الدبوسة تقع المغارة التي شهدت ارتكاب المجزرة التي ذهب ضحيتها أزيد من ألف وخمسمائة شهيد، من مختلف الأعمار والأجناس، من سكان المنطقة الذين أووا إلى المغارة خوفا من بطش جنود الاستعمار،

1- نفسه، ص29.

2- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر- دراسات في المقاومة والاستعمار، مجلة 4، منشورات وزارة المجاهدين، 2009، ص120.

3- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص115.

4- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة – تقديم وتعريف وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006، ص216.

بقيادة السفاح "دو سانت أرنو" الذي عمد إلى حرق الأهالي داخل المغارة، بعد أن سد عليهم جميع المنافذ، العملية تمت حسب الروايات التاريخية في سرية تامة، خوفا من اكتشاف أمر الجريمة، ولا تزال إلى اليوم أثار الجريمة شاهدة على ذلك من خلال بقايا دخان الحرق على جدران المكان الموحش[1].

رابعا: جريمة إبادة قبيلة أولاد رياح بغار الفراشيش: كانت منطقة الظهرة الواقعة بتنس ولاية الشلف، لقد لجأ الفرنسيون لأسلوب الإبادة الجماعية عن طريق الخنق بالدخان في مخبأ وغار مثل تصفية قبيلة أولاد رياح خنقا في غار في جبال الظهرة في ربيع 1845، حيث لجئوا للغار هربا من بطش الفرنسيين، وكان عددهم حوالي 1000[2]، وكان المسؤول عن هذه الجريمة الماريشالبيليسي والذي كان تحت قيادة بيجو[3]، حيث حاصرهم بيليسي وجنوده من جميع الجهات، وطالب القبيلة بالاستسلام لكنها رفضت ودافعت عن نفسها بكل ما تملك، فما كان من بيليسي إلا أن كدس الحطب وأحاط بالغار وأوقدها عند المداخل، ليجبر القبيلة على الاستسلام أو الموت حرقا واختناقا بالدخان، ومضى اليوم الأول من 17 و 18 يناير دون خروج أحد من القبيلة فضاعف بيليسي في الليل إيقاد النار، وأصر على شواء وحرق الجزائريين طيلة يومين ليقع بعدها انفجار مهول داخل قلب الغار، وكان ذلك إعلانا باختناق وموت ما يزيد 1000 ألف شخص[4].

1- سامية بن قوية، جريمة القتل والإبادة في القانون الدولي والفقه الإسلامي-جرائم الجيش الفرنسي في الجزائر نموذجا، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية السياسية والاقتصادية، المجلد 56، العدد 20، 2020-03-20، ص116.

2- أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، ص31.

3- نفسه، ص59.

4- سامية بن قوية، مرجع سابق، ص116.

المبحث الثاني: جغرافية مدينة الأغواط:

تقع مدينة الأغواط جنوب الجزائر العاصمة، وتبعد عنها بحوالي 400 كلم وتمتد بساتينها ومبانيها على ضفة وادي مزي*، الذي يأخذ مجراه من جبال لعمور غربا ويتوجه نحو الشرق ليحمل اسم أخر واد جدي والذي يقسم الأغواط إلى شطريين وهو يجري وسطهما، ويمر بعدد من واحات الزيبان التي تصب في الجنوب شط ملغيغ** في الجنوب[1]، تقع الأغواط على خط طول 2 و 55 دقيقة شرقا، وخط العرض 33 و 48 دقيقة شمالا، يحدها شمالا ولاية تيارت وجنوبا غرداية وشرقا الجلفة وغربا البيض[2](**أنظر الملحق 02**).

الخصائص الطبيعية لمنطقة الأغواط

يسود منطقة الأغواط مناخ بارد شتاءا وحار وجاف صيفا، وتتساقط الأمطار في هذه المنطقة بطريقة غير منتظمة تبلغ نسبتها الوسطى 180 ملم سنويا، مع حدوث جفاف في بعض السنوات، كما تهب بين الفينة والأخرى بعض الزوابع الرملية مما أدى لتكوين بعض الكثبان الرملية خارجها من الجهة الشمالية[3].

وتتميز الأغواط بطابعها السهبي الرعوي والفلاحي، تزخر بمساحات هضابية شاسعة وسهول وصحراء واسعة وتتوفر بها ثروة حيوانية معتبرة لاسيما الأغنام، كما تمتز بساتينها بإنتاج الفواكه والتين والرمان والسفرجل والعنب والإجاص[4].

من الناحية الإدارية تتكون الأغواط من 10دوائر و 25 بلدية، وتبلغ مساحتها 25052 كلم^2.

---

*واد مزي: منبعه جبل بني راشد وتطلع فيه عيون بمدينة الأغواط بمكان يسمى رأس العيون ومنه شراب الأغواطيين وسقي بساتينهم، ويعرف في شرقه بواد جدي، ينظر مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، ج1، ص51.

** شط ملغيغ: يقع جنوب منطقة بسكرة، ينظر مبارك الميلي، نفسه، ص52.

1- إخلاص علاق،مبارك الميلي ودوره الإصلاحي في منطقة الأغواط 1896-1945,مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر جامعة محمد خيضر ،بسكرة،1-07-2019، ص8.

2- خديجة طبابيبة وحليمة سعادة، الحركة الوطنية التيجانية في الجزائر خلال القرن 19م- الأغواط نموذجا، مذكرة ماستر في التاريخ العام، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2015-2016، ص38.

3- اخلاص علاق،مرجع سابق ،ص9.

4- نفسه، ص9.

أصل التسمية

لقد تضاربت الأقوال عن أصل تسميةمدينة الأغواط وهي كلها افتراضات وروايات شفوية متداولة.

حيث ترجع تسمية مدينة الأغواط حسب العلامة ابن خلدون إلى أحد القبائل البربرية "بنيالأغواط" والتي كانت تقطن المدينة، المنحدرة من قبيلة مغراوة أحد فروع القبيلة البربرية "زناتة" كما ورد في قول ابن خلدون: وقبيلة لقواط موجودة في نواحي البيض، ويقال لهم كسال[1].

بينمايرجع الكاتب الفرنسي جون ميليا في كتابه "الأغواط و المنازل المحاطة بالبساتين، أخذت "laghouat et les maisons en toureesgerdins" سنة 1923 أخذت الأغواط اسمها من موقعها المخضر حيث أن "غوطة" هي المكان المنبسط الكثير الاخضرار والمياه.

يقول الشاعر مفدي زكريا قائلا في مدح مدينة الأغواط:

أبا الغوطتيين يباهي الشام وأغواطنا بالشام ستخفاء.

كأن حدائقه العابقة نوافج مسك تضو عن عرفا[2].

إن اسم الأغواط الذي فُرنس إلى" Laghouat" والذي يعني الحدائق والآتي من الاسم البربري الأمازيغي "غوغتى" أو "أوروتي" الذي يعني حقول أشجار الفواكه.

فهناك من يزعم أن "لقواط" جمع قوطي باللهجة العامية أي العلبة التي تصنع منالحلفاء توضع بداخلها مختلف الأشياء[3].

يمكننا أن نستنتج من مجموع هذه الآراء أن مدينة الأغواط قد تكون نشأتها من تجمع سكاني صغير على يد "مغراوة"، ولما دخلها الهلالين وسعوا عمرانها وأعطوها طابعها العربي وأصبحت بلدة تجمع بين الحضارة والبداوة[4].

1- بهيطيلة علي وبن صحراوي يحي، لهجة الاغواط وعلاقتها بالفصحى، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها، جامعة الأغواط، الدفعة2، ص8.

2- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2002، ص32.

3- إبراهيم سياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص67.

4- عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون مراجعة سهيل زكار، ج7، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1981، ص65.

التأسيس

للأغواط تاريخ عريق فالرسومات الصخرية والآثار المتناثرة بالمنطقة تدل على استيطان الإنسان بها منذ ما قبل التاريخ، فالرسومات الصخرية عبر هضاب سيدي مخلوف تدل على وجود إنسان ما قبل التاريخ، كما لا تخلو المنطقة من بصمات العهد الروماني كالآثار التي عثر عليها بعض المنقبين، وكذلك في العهد الإسلامي برزت خلاله المدينة بطابعها المعماري العربي الإسلامي في أحياءها وحاراتها[1].

يرجع المؤرخون تاريخ إنشاء المدينة بصفة نهائية إلى بداية القرن 11م حسب العلامة ابن خلدون،ويعد غزو الهلالين سنة 1045 وإبتداءا من هذا التاريخ شهدت المنطقة نزوح قبائل عربيةلها كبني هلال وبني سليم،والذين قدموا من الجزيرة العربية "الحجاز ونجد"، ومن الدولة الفاطمية بمصر كذلك الذواودة، وهذا التروح العربي بالأغواط حدده المؤرخون بعد الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا حيث توافد عليها العرب الفاتحون وأسسوا بها مدينة سموها الأغواط[2].

سيدي الحاج عيسى حسب جل المصادر المؤسس الحقيقي لمدينة الأغواط، الذي أسس سورا محاطا بالمدينة، وقد قدم لها من تلمسان سنة 1698م، والتي وجد بها صراعات ونزاعات كبرى فرأى أن الطريقة الوحيدة للاحتماء من النزاعات الداخلية هي توحيدهم وتشكيل مركز واحد لهم فاستطاع جمع القبائل المتصارعة، التي تنقسم إلى قسمين هما الأحلاف وأولاد سرغين[3].

مما لا شك فيه أن هذه القصور والقصبات كانت في البداية مستقلة تضم كل منها قبيلة أو أكثر يرأسها شيخ لا يربط بينها سوى علاقة الجوار، لكن لأسباب أمنية دفعتها لتتجمع حول أكبر قصور الأغواط بن بوطة، وفي سنة 1698م وصل الولي الصالح والشريف الإدريسي الحسني سيدي الحاج عيسى ذو الأصل ال

1- إخلاص علاق، مرجع سابق، ص9.

2- خديجة طبابيبة وحليمة سعادة، مرجع سابق، ص39.

3- إخلاص علاق، مرجع سابق، ص10.

تلمساني، وفي سنة 1700 تجمعت القصور بمشورة من الولي الصالح وتحصنت مدينة الأغواط حول أسوار وبساتين أصبحت بمثابة القلعة[1].

الأحلاف تتكون من: أولاد زيد، أولاد سكحال، أولاد سالم، أولاد خريق، أولاد بوزيان، أولاد زعنون، أولاد عبدالله، المغاربة، حجاج الأغواط سكنوا الجهة الشرقية من المدينة[2].

أولاد سرغين وهم: البدارة، الجماني، أولاد بلعيز، الفليجات وسكنوا الجهة الغربية من المدينةمنذ سنة 1852م،وأثناء الفترة الاستعمارية سعت السلطات الفرنسية إلى جلب سكان البدو للاستقرار بالمدينة وأصبحت المدينة تجمع عدة سلالات وعائلات وقبائل وأصبحت بذلك منطقة استقرار قبلي[3].

المبحث الثالث: مفهوم الجرائم ضد الإنسانية

يعود استخدام مصطلح "الجرائم ضد الإنسانية" إلى أواخر القرن الثامن عشر، حين استخدم في سياق جرائم العبودية وتجارة الرقيق، ووصف الأعمال الوحشية المرتبطة بالاستعمار الأوروبي في إفريقيا وأماكن أخرى[4].

مفهوم الجريمة:

لغة: الأصل اللغوي لمعنى الجريمة مأخوذة من الفعل جرم والجرم هو القطع، يقال شجرة جريمة أي شجرة مقطوعة، وجرم بمعنى كسب أو قطع والجرم هو الكسب غير المشروع[5].

اصطلاحا: هناك وجهات نظر مختلفة في تحديد مصطلح الجريمة عند علماء الفقه الإسلامي وعلماء القانون وهي[6]:

1- نفسه، ص10.
2- إخلاص علاق، مرجع سابق، ص10.
3- نفسه، ص10.
4- منصور العمراني، جرائم ضد الإنسانية، مقالات الرأي، مطبوعة، 15-07-2018، ص12.
5- سامية بن قوية، مرجع سابق، ص103.
6- نفسه، ص103.

الجريمة عند فقهاء الشريعة: الجريمة في الاصطلاح الشرعي هي فعل ما نهى الله عنه وترك ما أمر به، وقد عرفها الماروني بأنها محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير، فالجريمة إذا هي ارتكاب ما يخالف أوامر الله تعالى ونواهيه ويعاقب مقترفها.

الجريمة في القانون: يعرفها علماء القانون بأنها فعل غير مشروع إيجابي أو سلبي صادرة عن إرادة جنائية، يقرر القانون لمرتكب هذا الفعل عقوبة أو تدبيرا احترازيا،ومن هنا فالجريمة هي فعل غير مشروع يقرر القانون عقوبة لمرتكب هذا الفعل[1].

الجرائم الاقتصادية:

وكان أول من استعمل تعبير القانون الاقتصادي في تعريف الجريمة الاقتصادية هو الاستاذ فريج في في تقريره العام المقدم للمؤتمر الدولي السادس لقانون العقوبات المنعقد في روما 1953، حيث قال: إن حيث قال إن القانون الاقتصادي والاجتماعي هو مجموعة النصوص التي يعبر بها عن إدارة الاقتصاد من جانب الدولة، أما فكرة السياسة الاقتصادية فقد ظهرت في تعريف الجريمة الاقتصادية على يد الأستاذ "اليوغسلافي زلاتاريتش" في تقريره المقدم لنفس المؤتمر فعرف قانون العقوبات الاقتصادي بأنه مجموعة النصوص القانونية التي تنص على تجريم سلوك محدد للفرد أو لشخص معنوييسبب خطر أو يجلب اعتداء على السياسة الاجتماعية والاقتصادية لدولة ما، فكان بذلك أول من ربط بين فكرة هذا القانون وفكرة السياسة الاقتصادية[2].

الاستيطان:

ذكر أحد الكتاب الفرنسيين قبل حدوث الغزو بثلاثة أشهر، أي شهر ماي 1830 بأن ما سيحدث في الجزائر لن يكون مجرد حملة، بل سيكون إقامة مستوطنة وكسب بلد أخر جديد، يمكن للفائض السكاني الفرنسي وفائض النشاط الاقتصادي التدفق عليه[3].

1- خولة شلالي وسلمى كلاع، مرجع سابق، ص26.

2- نجيب بوالماين، الجريمة والمسألة السوسيولوجية دراسة بأبعادها السوسيو ثقافية والقانونية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة شعبة علم اجتماع التنمية،جامعةمنتوري قسنطينة 2007-2008، ص192.

3- خولة شلالي وسلمى كلاع، مرجع سابق، ص46.

وأضاف أن الاستعمار وسيلة لحل مشكلة الملكية الزراعية في فرنسا، فبالرغم من خصوبة أراضيها الزراعية وشساعتها إلا أن الملكية مرتبطة بالنظام الحالي، جعلت المنتجات والحاجيات الحالية محدودة ولا يمكن أن تتغير إلا بمشقة، كما اعتبر أن تسعة أعشار الأراضي في الجزائر لا مالك لها، وأضاف أن غزو الجزائر وارادها، ستنشط التجارة والصناعة وتهيئة المؤسسة في فرنسا، وستمكنها من الحصول على كل منتجات كل المناطق المعتدلة وقوافل الصحراء[1].

مسألة الغابات

لقد كان للغابات دور رئيسي في النشاط الاقتصادي والحياة المعيشية للمجتمع الريفي الجزائري، فقد اعتمدت الجزائر عدة تقنيات في ممارسة الزراعة الغابية، فاستغلها الفلاحون للفلاحة الموسمية، وغرس الاشجار وفي إطار هذه التقنيات نجد عملية الحرق التي يعتمد عليها الفلاح في نهاية فصل الصيف لغرضين هما[2]:

- الحد من تقدم المساحات الغابية على حساب المساحة الزراعية والرعوية.
- تجديد المراعي مع قدوم فصل الأمطار.

الجرائم الدينية والثقافية:

جرائم طالت المقابر الإسلامية

ذكر الكاتب "ألبير ديفول" في هذا الصدد: اهتمت سلطات الاحتلال الفرنسي بعد سقوط العاصمة الجزائر في أيديها، باستحداث مساحات جديدة في المدينة لصالح شق طرقات وإنشاء حدائق ومؤسسات مدنية وعسكرية ذات طراز معماري كولونيالي، فأزالت من ضواحي المدينة الكثير من المقابر الإسلامية، والمساكن القريبة منها، وبرأيه فإن أعمال التحويل والتغيير التي طالت العمارة الإسلامية الجزائرية، كانت تشبه إلى حد ما تدنيس المقدسات، كما ذكر أن كومات من

1-خولة شلالي وسلمى كلاع، مرجع سابق، ص47.

2- الغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر -الخلفيات والأبعاد ، سلسلة المشارع الوطنة للبحث، دار هومة، الجزائر، 2007 ص 222 -223.

عظام الموتى الجزائريين التي استخرجت بهمجية من قبورها ورميت هنا وهناك ظلت شاهدة لعدة سنوات، الأمر الذي أحدث احساسا عميقا لدى الساكنة المسلمة[1].

تراجع عدد المساجد والمؤسسات الدينية في مدينة الجزائر بين سنوات 1830 و 1862 كانت العاصمة الجزائر تضم في عام 1830، عددا معتبرا من المؤسسات الدينية الإسلامية قدرت ب 166 مؤسسة موزعة كالتالي: 13 جامعا كبيرا، و 109 مسجدا صغيرا، و 32 مصلى، و 12 زاوية، ولكن بعد عمليات الهدم والتحويل لم يبقى منها في عام 1862 سوى 48 مؤسسة 9 جوامع كبيرة، و 19 مسجدا صغيرا، و 15 مصلى، و 5 زوايا، ترك منها 21 مؤسسة للعبادة موزعة كالتالي:4 جوامع كبيرة، و 8 مساجد صغيرة، و 9 مصليات، في حين حولت المؤسسات السبع والعشرين الأخرى إلى المصالح العسكرية والمدنية الاستعمارية[2].

تدنيس المقدسات:

كما أهملت بسبب الاحتلال، وهجرة ساكنة العاصمة، الكثير من المؤسسات الدينية بمدينة الجزائر لدرجة أن البعض منها تحول إلى أوكار للفاحشة، التي شجع على انتشارها المحتل مثلما حدث لزاوية سيدي هلال، التي يعود تاريخها إلى القرن 17م، حيث ظلت وكرا للدعارة طيلة 21 سنة أي من عام 1832 إلى عام 1853.

1- خولة شلالي وسلمى كلاع، مرجع سابق، ص59.

2- خولة شلالي وسلمى كلاع، مرجع سابق، ص59

الفصل الأول:

المجازر الفرنسية في العوفية 1832

إن مذبحة العوفية وأحداثها المفزعة أظهرت بكل وضوح ويقين نوايا السلطة الفرنسية، وتبقى هذه الجريمة ضد الإنسانية وصمة عار تلطخ تاريخ فرنسا الاستعماري.

المبحث الأول: أسباب المجزرة

لما قدم الدوق دوروفيقو إلى الجزائر لتولي منصب الحاكم العام في 17-12-1831 سعى أيضا لحمل الباي أحمد على الاعتراف بالسيادة الفرنسية، أما المفاوضات التي دارت بين الرجلين بواسطة حمدان خوجة، صاحب كتاب « المرآة » قد باءت بالفشل، ذلك[1].

ونتيجة لعدم استجابة الباي، حاول المستعمر استغلال التيار المناوئ لسياسة أحمد باي لضرب الجزائريين بعضهم ببعض، فقد لجأ الدوق إلى هذه الطريقة لمحاولة اختصار الطريق قصد الاقتصاد في الدم الفرنسي وتكاليف الحرب، إذ شجع كثيرا فرحات بن سعد للقضاء على حكومة الباي، ولكن فرحات طلب من الدوق تكوين حملة مشتركة لتقويض سلطة أحمد، وفشلت تلك المحاولات، بل ظل الباي قائدا للبايلك بدون منازع[2].

كما يذكر حمدان خوجة في كتابه المرآة: "أن وصول رسل لشيخ فرحات الدواوي كان سببا في الحادث المفجع الذي وقع لقبيلة العوفية"[3]، يذكر أيضا: بأن السيد بيشون ذكر بتفصيل في كتابه عن إبادة قبيلة العوفية، والتي ستكون صفحة سوداء في تاريخ الشعوب التي لا يصدق الكثير أنها حدثت في القرن التاسع عشر عهد الحرية والحضارة الأوروبية.

بل إن قبيلة العوفية التي تستقر على ضفاف واد الحراش القريب من العاصمة وتتشكل من 12 ألف شخص[4]، اعترضت مبعوثي فرحات بن سعد إلى دوروفيقو وجردهم من هدايا أعطاه إياه الحاكم العسكري[5]، وفي ليلة 5 أفريل 1832 قام هذا الأخير بأمر بذبح كل أفراد القبيلة

1- ياسر فركوس، محاضرات في التاريخ المعاصر، مطبوعة موجهة لطلبة السنة أولى، جذع مشترك علوم إنسانية، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2018-2019، ص27.

2- المرجع نفسه، ص 309.

3- حمدان بن عثمان خوجة ، ص42.

4- عام الخلية، فيلم وثائقي حول الإبادة الجماعية في الأغواط التي إرتكبتها فرنسا في الأغواط سنة 1852، وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، الجزء الثالث، 2014-12-17.

5 ياسر فركوس، المرجع السابق، ص 310.

بسكاكين وهم نائمون فنفذ الجيش الفرنسي جريمته دون تمييز وعاد إلى العاصمة متفاخرا وهو يحمل رؤوس الناس على الرماح[1].

وتصف الرواية الفرنسية الرسمية فصول الحادثة، كما يدعي الفرنسيون في روايتهم الرسمية « أن هناك الكثير من العساكر المرتزقة في صفوف الجيش الفرنسي، وبالتحديد من الكتيبة الثالثة التي كانت متمركزة في الخطوط الأمامية في نواحي الدار البيضاء، وكانت قبيلة العوفية تقطن في النواحي المجاورة لمركز هاته الكتيبة الأخيرة، وتسببت في فرار العساكر الفرنسية من صفوف جيوشهم، إضافة إلى أن هذه القبيلة كانت مسرحا لعدة جرائم وسرقات، أصبح من الضروري وضع حد لها ومن ثم قررت السلطات الفرنسية تأديب هاته القبيلة وإعطائها درسا يكون عبرة للقبائل الأخرى[2].

وفي 27 أفريل 1832 غزت القوات الفرنسية هاته القبيلة وكانت القوات الفرنسية متكونة من 300 عسكري من المشاة وكتيبة من الخط الرابع و300 عسكري من المرتزقة الأجانب، بقيادة الجنرال فوداوس Foudous فالعرب (يقصد الجزائريين) تركوا على الميدان 70 قتيلا، ومن بين القتلى عثر على جثتين لألمانيين كانا قد فرا من صفوف الجيش الفرنسي.

ولقد أظهرت فرق الفيلق الأجنبي بسالة كبيرة خلال هذه المعركة وكوفئت بـــ10000 فرنك فرنسي[3].

ويصف لنا الدكتور أبو القاسم سعد الله المشهد والمتمثل في أن الجيش الفرنسي قد أغار على قبيلة العوفية ليلا في 7 أفريل 1832 ثم قاموا بتصفية كل سكانها، وأكثر من ذلك حيث قاموا بمحاكمة شيخها الربيعة رغم براءة هاته القبيلة من تهمة الفرنسيين بالاعتداء على وفد فرحات بن سعد والذي جاء يطلب المعونة مع الفرنسيين[4].

1عام الخلية، المرجع السابق، ج3.

2عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، طبعة 2، ديوان المطبوعات، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ص 68.

3 نفسه، ص69.

4أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر،مرجع سابق، ص89.

ولكن رواية المرتزق الألماني « أوغيست جاجير » Auguest Jager والذي شارك بنفسه في هذه الغارة يقول: " في منتصف شهر أفريل 1832 جاءنا أمر بالاستعداد العاجل ووضعت القوات الفرنسية في حالة طوارئ بسبب التحركات المريبة لبعض القبائل العربية، والحق أننا كنا ننوي أثناء موسم الربيع الجميل الذي كنا ننتظره بفارغ الصبر شن حملة ضد هؤلاء المتوحشين، فالقبيلة التي وقع عليها الاختيار هي قبيلة العوفية، وقد اتهمت هذه الأخيرة بأنها تسببت عدة مرات في فرار العساكر المرتزقة من صفوف فرقهم، وكانت هاته القبيلة تبعد حوالي ثلاثة ساعات مشيا على الأقدام من الدار البيضاء، وتتمركز في السهول الخصبة لمنطقة متيجة، وهناك ضربت خيامها وأطلقت قطعانها من الماشية لا تحصى ترعى هنا وهناك[1].

ويضيف جاجير قائلا: "حاصرت فرق الشاسور الخيام من جهة اليسار، وذلك لمباغتة العدو من الوراء وللحيلولة دون فراره، أما عن جهة اليمين فكان هناك مستنقع ضخم نبتت فيه أقصاب عالية كثيفة، ورغم أن الهدوء كان تاما، فإن العدو قد شعر بوجودنا، وقد يكون بعض الرعاة الذين كانوا مستيقظين هم الذين أشعروه بوجودنا، ذلك لأننا لاحظنا كثيرا من أعضاء القبيلة ينقضون نحو جمالهم وجيدهم وبغالهم يحاولون الفرار بأنفسهم"[2].

وأثناء ذلك شنت القوات الفرنسية هجوما عاما على من بقي في الخيام، فالطلقات المدفعية الأولى باغتت النائمين داخل الخيام، وزرعت بينهم الرعب والفزع وكادت أن تشل حركة العدو، ولكن رغم ذلك استطاع الرجال أن يأخذوا أسلحتهم وأن يمتطوا جيدهم، في حين كان العجزة والشيوخ والنساء والأطفال يصرخون صرخات رهيبة محاولين الابتعاد والاختفاء من الطلقات النارية، وفي هذه الأثناء كانت فرق المشاة تتقدم مطلقة النار على كل متحرك بدون استثناء بينما كان الفرسان يطاردون الفارين ويشلون حركتهم بسهولة تامة، والذين لم يسعفهم الحظ في الفرار فقد ذبحوا دون شفقة، بينما الذين كان في استطاعتهم المقاومة حوصروا من كل الجهات ثم

1عمار هلال، مرجع سابق، ص 69-70.

2 نفسه، ص70.

انسحبوا عبر المستنقعات جارين وراءهم بعض النساء والأطفال واختفوا بين القصاب العالية الكثيفة[1].

وبعد ذلك يروي لنا جاجير بدقة كبيرة الفضائح التي ارتكبتها فرق الشاسور الإفريقية على وجه الخصوص، ويقول ما يلي: " نهب كل شيئ في الخيام المهجورة وامتدت الأيادي المخربة إلى أبسط الأشياء، واستولت العساكر الفرنسية على كل ما وجدته من ذهب وفضة وألبسة وأسلحة وغيرها من الأشياء الثمينة، بل حتى الأشياء التي لا قيمة لها لم تسلم م نهبهم، زيادة على ذلك حاولت القوات الاستعمارية أن تجر ورائها أكبر عدد من الماشية في استعجال كبير، لأنها شاهدت مجموعات من البدو تتجه نحوها، وذلك لمد يد المساعدة وإغاثة إخوانهم المهددين بالزوال[2]".

ولقد استطاع المقاتلون الجزائريون أن يلتحقوا بسرعة فائقة بالمنتصرين المتراجعين إلى الوراء وطاردوهم حتى الخطوط الأمامية لنقطة تمركزهم من القرب من الدار البيضاء، ولكن أمام الطلقات المدفعية اضطر المقاتلون أن يتوقفوا، ورغم ذا وذاك استطاعوا استرجاع قسطا كبيرا من المواشي المسروقة ويضيف جاجير قائلا: " ارتكبت العساكر الفرنسية خلال هذه المعركة فظائع لا يمكن وصفها، لم ترحم العساكر الفرنسية حتى الأطفال فقد اغتالوهم وهم في أحضان أمهاتهم ثم يذبحون هؤلاء الأخريات بدورهن"[3].

ويصرح بيليسي في تقاريره أن "دوروفيغو"بعد قيامه بمجزرة العوفية عام 1832 والتي ارتكب فيها أبشع الجرائم، أن هذا الأخير بعد الإعلان تلك العملية الوحشية يوم 8 أفيل في نفس السنة عبر عن ارتياحه ومسرته بما اقترفه.

ويذكر "هنري رمسري" أن هذا الأخير صرح قائلا: "إنوا بالرؤوس، وأغلقوا مجاري المياه برأس أول بدوي يعترض سبيلكم"[4].

---

1 نفسه، ص70.

2 عمار هلال، مرجع سابق، ص70.

3 نفسه، ص71-72.

4كريمة حرشوش، جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم (1832-1847)، شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، ص45.

ويوجد في توثيق للجريمة في أفريل عام 1832 ويأتي فيها أن خيالة منطقة "الدار المربعة" عادوا بـــــ 20 سجينا و 2000 رأس غنم و 500 رأسا من البقر و 28 جملا، ولتأكيد جانب النهب في عملية الإجرام يأت في تقرير عسكري بأمر من الجنرال القائد باستيان الغنائم التي سلبت في 7 أفريل من قبيلة العوفية ستباع غدا 9 أفريل في الدار المربعة بالمزاد العلني، وبيعت إلى القنصل الدنماركي المدعو ترستن، لقد تم هذا البيع في باب عزون ومن جملة ما رأينا أساور ما تزال مشدودة في زنود مقطوعة وقيراط دامية،كلن عليها أن تعوض لسكان القبائل الذين سلموا من المذبحة ما أتلف من أملاكها وأن تمنع بيع الغنائم المغتصبة[1].

ويكتب الدوق إلى مسئوليه قائلا: "لقد أردت بهذه القسوة تذكير شيوخ القبائل بالطاعة وأنه في حال العكس سيكون مصيرهم كذلك"[2].

انطمست مبادئ العدالة كلها في أذهان الحكام، وبهذا التصرف سوف تستحيل الإقامة في هذه القارة بالنسبة للفرنسيين الذين سيفقدون إلى الأبد جميع الامتيازات التي كسبوها[3].

المبحث الثاني: سياسة الإبادة والقمع الفرنسي

تعتبر الكتابة عن جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر وما اقترف من بشاعة ضد الإنسانية من بين أهم الكتابات التي يعجز اللسان والقلم التعبير عنها، فقد اعتمدت قوات الاحتلال الفرنسي على إستراتيجية الحرب الشاملة والإبادة، والدمار ضد الشعب الجزائري منذ بداية الاحتلال، كما عمل قادتهم العسكريين والبرجوازيين من الاستيطان والسيطرة على الأراضي الجزائرية، كما اتبعوا كل أنواع القهر والتعذيب وتهديم المؤسسات الاقتصادية والتعليمية والدينية، كهدم المساجد وتحويلها إلى كنائس وفي هذا الإطار يذكر المجاهد "علي كافي" ما يلي: "إنما سيكتب هذا القمع بعد الثورة سيكون أشبه بالخرافات التي لا يصدقها العقل، ومع ذلك فهي حقائق عاشها أفراد الشعب الجزائري بنسائه ورجاله وأطفاله وحتى بحيواناته وأرضه"[4]، وهذا ما يدل على فظاعة وبشاعة أعمال التخريب والإبادة التي مارسها العدو في حق شعب مستضعف، وقد بقيت تلك الفظائع متداولة بين الجنرالات

1حمدان بن عثمان خوجة ، مرجع سابق.ص43.

2عام الخلية، المرجع السابق، ج3.

3حمدان بن عثمان خوجة، ص43.

4لونيسي إبراهيم، سياسة التعذيب في الجزائر وأهدافها، مجلة عصور، العدد الأول، وهران، جوان 2002.

والقادة الفرنسيين في الجزائر، وظلت السياسة القمعية الممارسة ضد الجزائريين على نفس النمط والأهداف، فالحقائق التاريخية تشهد على ذلك بالرغم من تزيفيها والإنقاص من حجمها وهول فظاعتها، مثل تصريحات الجنرال "بيجو" أمام البرلمان التي كان يتخذ منها موقف المدافع إلا أن التصريحات الشخصية لبعض الجنرالات الفرنسيين في الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين 1832-1847 توضح بشاعة أعمالهم وجرائمهم التي ارتكبوهابشتى أنواع الطرق[1].

يقول توكفبل "Tocqueveille" حول الإبادة: "أن فرنسا تعمل أن تجعل مجتمعات متحضرة وليست مجتمعات متوحشة" فهل هذه هي الحضارة التي كانت تنادي بها مبادئ الثورة الفرنسية "المساواة، العدل، الحرية"؟ وهل يمكن التقتيل والذبح والتنكيل بشعب أعزل لا يملك أداة المقاومة والدفاع عن ممتلكاته المسلوبة وشرفه الضائع وأطفاله المشردين ونسائه المرملين.

تم تسجيل عدة جرائم في الجزائر تتنافى مع الروح الإنسانية، كتلك الإبادة التي صرح بها الجنرال "شونقاربي"والتي ارتكبت في حق سكان متيجة في سنة 1830 حيث ذكر قائلا: "ظهرت وحشية الغزو الفرنسي على الجزائر منذ 1830، لا نترك أحدا، إنه الغزو الذي يمارسه الجيش على أكبر نطاق، مصحوبا بالنهب والمجازر فتحول الجنود إلى ذباحين لأهالي معزولي السلاح، وكانت الفرق التي تقوم بالتدمير تتسلى خاصة في فصل الشتاء وما قامت به على القبائل من الحراش حتى البرواقية....".

يتحدث الجنرال "كلوزيل"عن الإبادات الجماعية التي كان يقوم بها رفقة جنوده، حيث صرح أنه ترك جنوده أثناء هجومه على المدية والبليدة عام 1830 يقومون بالتجاوزات ويستولون على الغنائم من السكان والأهالي، كما يصرح أنه أمرهم بحرق وتدمير الأرياف بنواحي البليدة واستولى على المدية في شهر نوفمبر 1830 وهو يصرح عن أهم جرائمه وعملياته القمعية والفظائع التي اقترفها في حق الشعب المستضعف[2]، بالإضافة إلى مجازر أخرى لا تحصى وإن كنا قد ركزنا على أبشعها ففي 6 أفريل 1832 بقيادة الجنرال "روفيقو"الذي قام بمجزرة عنيفة ضد قبيلة العوفية قرب الحراش ودون سابق إنذار فوجئ سكان القبيلة النائمة عند الصباح الباكر بمحاصرة جنود الفرنسيين وتم ذبح كل أفراد القبيلة، ونهبوا كل ما هو موجود بها وبيعت غنائمها ببان عزون.

1ولد النية كريم، الاستيطان والنظام الإداري المحلي في الجزائر، بلدية عين تيموشنت المختلطة نموذجا.رسالة شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة وهران ، 2000-2001 ، ص 10

2 كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص47.

إن أساليب الاستعمار الفرنسي الوحشية التي مارسها على الجزائريين لم تفشل قوات المقاومة الوطنية أمام هذه الجرائم، بل ظل الشعب الجزائري طيلة سنوات الاحتلال صامدا يقاوم قوات الاحتلال الفرنسي، و لم يكترث رغم قسوة وفظاعة الأساليب الفرنسية التي كان هدفها القضاء على المقاومة الوطنية واستعباد الشعب الجزائري ونهب خيراته، فقد سجل التاريخ صفحات مخزية وانحطاط إنساني ولا أخلاقي كتبت بأقلام قادة وجلادي الاستعمار الفرنسي، وهذا ما اعترف به "بوجوم" مصرحا: "عندما تخوض الحضارة حربا بطريقة وحشية، فهي مجبرة لأن تكون كذلك كي لا تتعرض لحرب فيها أسلحة متكافئة وكي لا تخسر ميزات مهمة، وهذا ما حدث لنا في حربنا على إفريقيا"[1].

وكان للعقيد "لامورسيس"رأي هو الأخر حول استخدام العنف والقتل من أجل إخضاع الشعب الجزائري فيقول مصرحا سنة 1834: "إن الحرب عمل تبشيري ضد قوم لا ينفع معهم الكلام المعقول إلا إذا كان معززا بالحرب".

أفكار معظم القادة العسكريين الفرنسيين كانت تهدف إلى القمع واتخاذ جميع الطرق للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية وبشتى الأساليب الحرق، التدمير، القتل بأبشع الطرق، كالمجزرة التي نفذها العقيد "لامورسيس"في 12 جانفي 1841 بمنطقة "سيدي لخضر" قرب مستغانم حيث تم قتل حوالي 300 شخص.

هدف العقيد "لامورسيس" لا يختلف عن أهداف القادة الفرنسيين ومشروعهم الاستعماري الاستيطاني بالجزائر، لذا عملوا على اتخاذ كل السبل والغايات وتجربة كل التدابير من أجل القضاء على المقاومة الشعبية الجزائرية بقيادة "الأمير عبد القادر" والقضاء على مشروع الدولة التي ستعيق التوسع الفرنسي[2].

1لونيسي إبراهيم، مرجع سابق، ص25.

2بوزيان سعدي، مرجع سابق، ص22.

أهداف سياسة التعذيب والقمع الفرنسي بالجزائر:

تعد سياسة التعذيب الفرنسي الممارسة على الجزائريين، جزء من المشروع الفرنسي الاستعماري من أجل الاحتلال الكامل للجزائر، حيث كانت هاته السياسة تمارس بوعي وتخطيط مسبق وما يؤكد ذلكما صرح به الجنرال "بيجو" في تبريره لعمليات التدمير والتعذيب إذ يقول: " لا بد من إبادة جميع السكان العرب، إن المجازر والحرائق وتخريب الفلاحة هي في تقديري الوسائل الوحيدة لتركيز هيمنتنا"، عمل القادة العسكريون الفرنسيون على ترسيخ فكرة القمع والتعذيب فالجندي الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه الأرض الجزائرية، ليكون مجهزا نفسيا للتقتيل والتنكيل ويتضح ذلك من خلال تصريحات القادة الفرنسيين كالتصريح التالي: "إذا شئتم البقاء على قيد الحياة عذبوا مرورا، لا يجب أن يبقى فلاقا واحدا على قيد الحياة، حتى وإن حصل سهوا"[1].

كان الجيش الفرنسي يمارس عملية التعذيب والقمع لأهداف توسعية، ولتحقيق مشروعهم الاستعماري في أقرب وقت ممكن، وحتى لا يكلفوا خزينة دولتهم المزيد من المصاريف على الجند ومتطلباتهم، لذا سعت القوات الفرنسية وقادتها العسكريين لتحقيق عدة غايات أساسية أبرزها القضاء على الكيان الجزائري ماديا ومعنويا بتجريد الجزائريين من ممتلكاتهم وطمس الهوية الجزائرية بطرق شتى كي يستطيعوا تحقيق مشاريعهم، ومن ذلك أن الفرنسيين سعوا إلى خلق صراعات بين أوساط الشعب الجزائري من أجل إخضاع العناصر التي كانت تساند المقاومة الشعبية الوطنية أو عن طريق الترهيب والقتل والتنكيل، وبالفعل فقد نجحت القوات الفرنسية في إخضاع بعض القبائل التي أصبحت تخدم المصالح الفرنسية وأهدافها الاستيطانية، كان للسياسة القمعية أثارها السلبية على نفسية الجزائريين، فقد قتلت في بعضهم روح المقاومة واستكانوا للعدو من جراء كثرة الجرائم مع زيادة فساوتها.

1 نفسه ص28.

المبحث الثالث: المقاومة الشعبية

بعدما تمكن الغزاة من بسط نفوذهم على مدينة الجزائر، أصبحوا يفكرون في التوسع على حساب المناطق المحاذية للبلاد، والتي اعتقد سكانها أن القوات الفرنسية جاءت لتأديب الداي، نظرا لنقص وعيهم السياسي، والشعور بدافع الدفاع عن الوطن، فلم تهاجم سكان هذه المناطق قوات الحملة الفرنسية على المدينة، وبعد توغلهم في احتلال المناطق المحاذية للبلاد، أحست القبائل بخطورة الوضع وأدركت خلالها المشروع الفرنسي الذي كانت أهدافه استعمارية توسعية، فخافت تلك القبائل على مصالحها[1].

فقامت في 23 جويلية 1830 باجتماع تحت زعامة "بن زعموم"قائد فليسة في برج تامنفوست* لإعلان مقاومة الاحتلال الفرنسي، والحد من توسعاته بعدما أعلن "ديبورمون**" احتلال مدينة البليدة لقد كان موقف ابن زعموم في اتجاه الاحتلال الفرنسي هو بقاء قواتهم بمدينة الجزائر مع عدم التدخل في شؤون ضواحيها، وهذا ما يعكس قلة وعيه، فلم يدرك حقيقة مشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر[2].

وفي 25 جويلية 1830 قرر دبورمون احتلال البليدة[3]، أثناء عودة الجيش الفرنسي من المدينة تعرض لهجوم من طرف قوات قبائل منطقة "بئر توتة"[4] دامت المشادات حتى يوم 7 جويلية، وتم طرد العدو حتى مشارف مدينة الجزائر، حيث قتل مساعد الجنرال دوبورمون الضابط "تليزان" و لم يتواصل الهجوم على القوات الفرنسية في العاصمة، فقد اعتقد زعماء المنطقة أنها سوف لن تستمر في توسعاتها خارج العاصمة[5]، هذه المعركة أكدت استعداد المنطقة لمقاومة القوات الفرنسية التي أدركت خطورة التوغل.

---

* برج تامنفوست: يقع غرب رأس ماتيغو على ساحل مدينة الجزائر.

** ديبورمون: ولد في سبتمبر سنة 1733 وتوفي 27 أكتوبر 1846 في قصر بورمون، لمع إسمه خلال معارك الحرب الإسبانية سنة 1813 لكنه فر قبل معركة واترلو 1815 بيوم واحد ملتحقا بالملك لويس 18، اختاره الملك شارل العاشر وزيرا للحربية، رقي إلى رتبة ماريشال في 24 جويلية 1830 في معسكر برتوت، وكان عمره 56 سنة.

1أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص124.

2كريمة حرشوش، مرجع سابق. ص 27

3أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1970، ص82.

4ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص192.

5نفسه، ص194.

عزل الجنرال دوبورمون بعد فشله في حملته على البليدة، وتم تنصيب الجنرال كلوزيل في 2 أوت 1830،[1] فقام بإدخال تنظيمات جديدة فحول العديد من المساجد إلى ثكنات عسكرية، ولإنجاح عملية التوسع الفرنسي في الجزائر قام بالتوغل على حساب البليدة والمدية، في نوفمبر 1830 وتمكن من احتلال البليدة دون مقاومة،وبعد ذلك أرسل كتيبة لجلب الذخيرة من العاصمة، فتعرضت هذه الكتيبة لهجوم من طرف قوات قبائل "فليسة وبني موسى وبني مسرى وبني خليل"بمنطقة بوفاريك وفي 26 نوفمبر 1830هاجمت قوات قبائل المنطقة مدينة البليدة التي كانت بها حامية فرنسية بقيادة "روليير" فدارت بينهما معركة دامية قتل جراءها عدد كبير من الجانبيين، وفي 27 نوفمبر وصل الجنرال كلوزيل إلى المنطقة فقرر سحب القوات الفرنسية والعودة بها إلى مدينة الجزائر، نظرا إلى المشاكل التي كانت تعاني منها، كما تعرضت قوات العدو خلال هذه الفترة لعدة هجمات غير منتظمة في المنطقة الممتدة بين العاصمة وجبال الأطلس[2].

ومع وصول الجنرال "برتيزان" إلى الجزائر العاصمة في 21 فيفري 1831، صادف عدة مشاكل من قوات القبائل الجزائرية التي هاجمت المزرعة النموذجية بالقرب من وادي الحراش في أول شهر جويلية 1831، وفي منتصف الشهر هاجمت بعض قوات القبائل في المدية الحاميات الأمامية الفرنسية، وجراء هذه الأوضاع خرجت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال برتيزان لمواجهة قوات القبائل فتمكنت من تحقيق تراجعها، بينما قوات القبائل الجزائرية التي كانت مجتمعة في بوفاريك هاجمت المزرعة النموذجية، وهو ما دفع بالجنرال برتيزان الخروج لمحاربتها[3]، فتمكن في هذه المعركة من هزيمة قبائل منطقة بوفاريك التي تفرقت قواتها بسبب سوء التنظيم وعدم وجود قيادة موحدة تدافع عن أهداف واضحة[4].

هاجمت قوات القبائل الجزائرية بمنطقة "متيجة" المزارعين الأوروبيين فقتلوا عدد كبيرا منهم، بينما اضطر الباقون للفرار نحو العاصمة، وكان هذا الهجوم بعد المجازر التي ارتكبتها القوات الفرنسية ضد قبيلة العوفية في 7 أفريل 1832 استأنف القتال ضد العدو فكان الحاج السعدي على رأس المجاهدين روحيا والحاج محمد بن زعموم قتاليا بواسطة ابنه الحسن، وكان الاثنان على

1 الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، الطبعة4، بيروت–لبنان، 1980، ص16.

2كريمة حرشوش، مرجع سابق.ص 26

3 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص128.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث، ص85.

صلة وطيدة مع الحاج محي الدين إلى صف المجاهدين وأن يجعله يرمي بأوسمة الفرنسيين وقفطانهم ويتقلد سيف الجهاد ضدهم، وأول معركة خاضها المجاهدون هي معركة زاوية محمد التوري قرب العوفية، في مفترق الطرق بين الفندق والعلمة بدوار، والتي قتل فيها 57 جنديا مرتزقا من اللفيف الأجنبي و لم ينج من الفرقة كلها سوى ألماني اعتنق الإسلام وسماه الناس أحمد المشهد، وعندما أراد الفرنسيين الانتقام أرسلوا قطعة بحرية نحو يستر ولكنهم عادوا منهزمين بعد أن أمطرهم الأهالي هناك بالرصاص[1].

ثم كان اجتماع القيادة الجديدة في شهر سبتمبر 1832 وهو الاجتماع التاريخي الذي وقع في "سوق علي" بالقرب من بوفاريك الذي أدى إلى جمع الكلمة وتكوين قوة كبيرة من المجاهدين أنطلق ضد العدو بقيادة ابن زعموم أيضا[2].

وخرجت القوات الفرنسية لتفريق هذا التجمع الوطني ولكن المجاهدين نصبوا لها كمينا في المكان المسمى "المرابط سيدي عيد" حيث فاجئوها وقتلوا منها وأصابها الذعر والخوف والفوضى، ولولا نجدة أعادت إليها أنفاسها وذلك يوم 2 أكتوبر 1832 وفي اليوم التالي عاود المجاهدين الكرة على العدو وأجبروه على التقهقر ودخول العاصمة والانحشار فيها،وكانت الهزائم العسكرية هي السبب في جعل روفيقو يتوقف عن حملات القتال، ويلجأ إلى حملات الإرهاب في المدينة، حيث وجه انتقامه ضد أعيانها[3].

وقد استمرت المناوشات بين الطرفين في متيجة سنتي 1833و 1834، وبعد تعيين الجنرال روفيقو حاكما عاما خلفا لبوتيزين عزم على القضاء على المقاومة فاستعمل سياسة التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري، الذي لم يعرف التنظيم في صفوف قواته الشعبية بالوسط الجزائري نظرا لعدم تولي قيادات لها ذات بعد نظر، ووعي وطني، تعمل على جمع و لم شمل الجزائريين، لمقاومة الاحتلال الفرنسي وعلى الحد من توسعاته والقضاء على مشروعه الاستعماري[4].

1أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق ص90.

2ياسر فركوس، مرجع سابق، ص16.

3أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص95.

4ياسر فركوس، مرجع سابق، ص28.

المبحث الرابع: نماذج عن جرائم بعض الجنرالات الفرنسيين بالجزائر 1830-1850.

الجنرال كلوزيل Comte Bertrand de Clauzel

التعريف به: هو الكونت بيرتران كلوزيل أو كما يقال عنه كونت الإمبراطورية وماريشال فرنسا، ولد بمريبوا الفرنسية في 1772/09/12، ذهب عام 1792 كنقيب يحارب الأسبان، وانضم سنة 1801 إلى غزو سانت دومانق الذي عاد منها برتبة جنرال، وبقي في الجيش الفرنسي يحارب تحت رايته هنا وهناك، كل هذه الجبهات التي خاضها زادته خبرة طبقها بمهارة في الجزائر، خاصة مع وجود تلك الخيرات بالبلاد، مما زاد شدة طمعه للوصول إليها، واستخدام شتى الطرق من أجل الاستحواذ على تلك الخيرات، ونفس النية وجدت عند الجنرالات الذين جاؤوا من بعده أو قبله[1](**الملحق رقم 04**).

بعض تصريحاته حول ما ارتكبه من جرائم في حق الشعب الجزائري

إن معظم هاته التصريحات مأخوذة من مذكرات الجنرال كلوزيل، وقد اقتطفنا منها بعض تصريحاته التي تؤكد نية المستعمر في النهب والسلب والقتل، فهي عبارة عن رسائل تصف حالتهم بالجزائر، وما اقترفوه وخططوا له مع ضباطهم وعساكرهم[2].

وفي رسالة له وجهها لسكان العاصمة، يعدهم فيها أنه سيكون حاكما عادلا، لا يمس شرف الجزائريين إلا في حالة العصيان والتشويش، ولكن هل حافظ هذا الأخير على وعده؟

بعد احتلال الجزائر العاصمة كان كلوزيل لا يخش شيئا، حيث هاجم البليدة والمدية دون أخذ الاحتياطات، فترك جنوده يقومون بتجاوزات كثيرة منها الاستيلاء على ممتلكات السكان، كما أمر بحرق وتدمير المناطق الريفية بنواحي البليدة، واستولى على المدية في شهر نوفمبر 1830، أما مدينة البليدة فكانت مدمرة تنتشر فيها جثث الشيوخ والنساء والأطفال، وهؤلاء لم يقوموا بحمل السلاح[3].

1كريمة حرشوش،مرجع سابق، ص78-79 بتصرف

2نفسه، ص81.

3 نفسه، ص81.

الجنرال سافاري الدوق دوريفيقو Duc de Rovigo:

التعريف به: ولد في 26 أفريل 1774 خدم كاحتياطي في الفرقة النورمندية عند نشوب الثورة الفرنسية، ثم التحق بالجيش الرين حيث رقي قبل التحاقه بقيادات الأركان العليا لرتبة عقيد شارك في الحملة لفرنسية على مصر، وحارب بالفرقة الأولى ولما عاد إلى فرنسا رقي إلى رتبة جنرال سنة 1805 اشترك في معارك بولونيا واسبانيا ونمسا وبروسيا، وعند عودة الملكية إلى هرب من فرنسا، ولكن ثورة جويلية أعادته إلى باريس حيث خلف الجنرال برتيزان سنة 1831 ، وبقي في الجزائر مدة سنتين عين كحاكم عام، وارتكب فيها أبشع الجرائم التي تعكس شخصيته القاسية، والتي اعتبرها كمفخرة لبلده كما أكدها توكفيل في مقولاته[1](**الملحق رقم05**).

بعض تصريحاته حول ما ارتكبه من جرائم في حق الشعب الجزائري

يصرح الجنرال دوريفيقو عن بعض أعماله الإجرامية التي قاموا بها في الجزائر، ومعظم هذه التصريحات كانت تحت إمرة جنرالاته، وهاهو في مجموعة من رسائله مع وزير الحربية عن بعض الأحداث التي وقعت أثناء فترة مكوثه في البلاد، وهي مستقاة من مذكراته[2]:

إبادة قبيلة العوفية سنة 1832:

كانت قبيلة العوفية تقطن بضواحي الحراش، وحدثت سرقة بالقرب منها، ودون التحقيق في القضية قرر الجنرال دوريفيقو معاقبتها، فأمر بإبادتها وقدرت أعداد الضحايا بين 80 و 100 قتيل من الجزائريين، واستولوا على الغنائم التي قدرت بين 2000 رأس من الغنم، ليتحقق بعد هذه المجزرة بأن القبيلة بريئة، في ليلة 6 أفريل 1832 فوجئ سكان القبيلة النائمين عند الصباح الباكر بمحاصرتهم من قبل الجنود الفرنسيين، فتم ذبح كل أفراد القبيلة المساكين دون أن يلجأ أحد منهم للدفاع عن نفسه، لا فرق بين الجنسين..... وعند الرجوع من هذه الحملة كان الجنود الفرنسيون يحملون رؤوس الضحايا على رماحهم، وقدم شيخ القبيلة إلى مجلس الحربية، ولم توجه له تهمة إلا أنه تم إعدامه وحضر تنفيذ هذا الحكم عدة فرق من القوات الفرنسية[3].

1كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص122، بتصرف

2 نفسه، ص123.

3نفسه، ص124.

الجنرال شونقاريي Nicolas Anne Théodule Changarniier

التعريف به: هو كسابقيه اقترف جرائم بشعة بحق الشعب الجزائري، هو من مواليد 26 أفريل 1793 بمنطقة أوتان الفرنسية، حيث درس في كلية الفنون الحربية بسان سير، وتخرج منها سنة 1815 شارك في الحرب ضد اسبانيا وتميز فيها، قدم إلى الجزائر مع الحملة الفرنسيةسنة 1830، وعين قائدا للفيلق في 31 ديسمبر 1835، وقد تميز بالخفة والشجاعة أثناء حملته على قسنطينة وقد نال إعجاب الجميع بذكائه في الحروب التي خاضها ضد القبائل الجزائرية وبقي يترقى إلى أنال رتبة ماريشال سنة 21 جوان 1947 أين تسلم مهام القيادة العامة في الجزائر من الجنرال دومال الحاكم العام لها[1].

بعض تصريحاته حول ما ارتكبه من جرائم في حق الشعب الجزائري

لقد أظهر الجنرال شونقاريني أللإنسانية أثناء ارتكابه الجرائم، فقد كان يطلب من جنوده استعمال العنف أثناء الغزو على القبائل وها هو يصرح قائلا عن غزو الجيش الفرنسي لمتيجة: "ظهرت وحشية الغزو الفرنسي منذ دخوله سنة 1830، لا نترك أحدا، إنه الغزو الذي يمارسه الجيش على أكبر نطاق، مصحوبا بالنهب والمجازر، فتحول الجنود إلى ذباحين للأهالي العزل من السلاح[2]".

كانت الفرق التي تقوم بالتدمير تتسلى، وخاصة في فصل الشتاء، وما قامت به على القبائل من الحراش حتى بورقيقة[3].

كل المواشي المنهوبة من الأهالي تم بيعها، وأساور النساء التي كانت بالمعاصم وأقراط تتدلى مع بقايا اللحم وما يزيد ألما هو إجبار الأهالي مشاهدة ما يجري في هذه الأسواق[4].

1كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص137، بتصرف.

2 كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص139،

3 كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص139

4كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص139.

الجنرال توماس روبار بيجو Bugeaud de LapiconnerieThomes Robert

ولد الجنرال بيجو بتاريخ 15 ديسمبر 1775، في مقاطعة لادورانتي، القي والده بالسجن بعد الثورة الفرنسية بيريغورد ، توفيت والدته وهو بسن 12 وأخذته أخته للعيش مع فلاحي دوردونيو، وتربى تربية الريف ذو العزيمة القوية التي تكسوها الكثير من القسوة وخاصة أنه تربى يتيما[1].

التحق بالجيش الفرنسي في سن العشرين وشارك في حملات بولونيا واسبانيا، وتوصل إلى رتبة عقيدثم رتبة قبطان بعد حربه ضد النمسا، تلقى تدريبا خاصا في القمع والإجرام في عهد نابليون الأول لذلك كان حكمه يمثل الصورة القاسية، ومخططاته تضمن الإضرار بالسكان في أرزاقهم وممتلكاتهم ومحاصيلهم[2](**الملحق رقم 06**).

كان مع الحملة الفرنسية على الجزائر، ووجد الفرصة لتحقيق غايته للوصول إلى رتبة جنرال بشتى الطرق خاصة وانه كان يتفنن في ارتكاب المجازر ، فرقي بعدهل لرتبة جنرال في 1936.

بعض تصريحاته حول ما ارتكبه من جرائم في حق الشعب الجزائري

تصريحات الجنرال بيجو المتضمنة لأعماله الإجرامية التي قام بها جمعناها من مؤلفه مذكرة حول احتلال مدينة وهران عقب معاهدة التسليم بينه وبين الأمير عبد القادر 30 ماي 1937 ، كانت تتطرق للإمكانيات التي تزخر بها مدينة وهران وضواحيها، وما تشتمل عليه، ما يجعلها مؤهلة لكي تصير منطقة تستقبل المعمرين الأوروبيين، الذين تمدهم السلطات الفرنسية بكل الإعانات والمساعدات من أجل التوطين والبقاء فيها[3]، وقد كانت عمليات الاستيطان التي جاء بها الجنرال بيجو تمثل جريمة في حق سكان المنطقة، لما تعرضوا له من مصادرات لممتلكاتهم لحساب المعمرين.

1كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص147، بتصرف.

2 نفسه، ص147.

3 نفسه، ص149.

كما وصفه أحد المؤرخين: "بأنه رجل خشن ومتسلط لا يعرف الإحساس إطلاقا، غير مؤدب تفرغ للحرب كلية واتخذها أسلوبا ومهنة، وخصص ربع الجيش الفرنسي لمحاربة الأهالي وكان يتميز بالهجوم والاستيلاء، كان لا إنسانيا اتجاه المنهزمين....."[1].

أسلوب بيجو الأرض المحروقة 1841-1847

أراد بيجو ترويع السكان وتفقيرهم، وإذا اقتضى الأمر إبادتهم وفعلا استولى على المحاصيل ويدمرها وينهب الأنعام والمواشي والأملاك، وإذا قاوم السكان يقوم بإبادتهم دون رحمة، وأخذ نوابه هذا الأسلوب وطبقوه حيثما حلوا.

ومن تصريحاته الدالة على جرائمه يقول:

"يجب التحضير للغزو بخفة وسرعة، بتشكيل قوات عسكرية قوية تجوب البلاد، تهزم العدو وتتلف المحاصيل الزراعية بالحرق أو بطريقة أخرى، وتحطيم التحصينات، الاستعمار والزراعة هما مرادفان متلازمان....."[2]

لجلب الجنود المسرحين يجب توفير الملكية لهم وإعطائهم أجرة ومئونة لمدة سنة أو سنتين، وتقديم الإعانات لهم وتقديم الخيم في انتظار بناء القرى، ومنحهم عتاد ومحاريث ومواشي وخيول، وتسهيل أمور الزواج لهم...[3]

تأسيس مستعمرات عسكرية للتوطين بتربية الخيول والموشي، إنشاء مشاتل لأشجار التوت والزيتون بوهران وتوزيعها بالمجان على المعمرين الفقراء وبأثمان معقولة على الميسورين منهم[4].

ويصرح قد وصلنا كغزاة، ولا يستطيع الاستعمار الأوروبي إلى أن يقوم بالاستيلاء على الأراضي وبالتضييق على القبائل المالكة، ولا شيئ يرتبط به الإنسان إلى الملكية عندما يبني المعمر العسكري منزله، وعندما يزرع ملكيته خلال 4 أو 5 سنوات[5]، وعندما يغرس الأشجار ويراها تكبر، وعندما يرى أولاده الاثنين أو الثلاثة يكبرون فوق هاته الأرض، فإنه من المستحيل أن يفكر في ترك هذه

1 نفسه، ص149، بتصرف.

2كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص 150-151، بتصرف.

3 نفسه، ص 151، بتصرف.

4 نفسه، ص151.

5 نفسه، ص156، بتصرف.

الوضعية المريحة لعائلته، ويذهب إلى فرنسا ليصبح عاملا كادحا فهو وذريته يرتبطون إلى الأبد بهاته الأرض[1].

الجنرال لاموريسيير Général LaMoriciére

التعريف به: لا يختلف كثيرا في أسلوبه عن الجنرال بيجو، فكل منهما استخدم أساليب قمعية إجرامية من أجل تحقيق هدف الاحتلال، ولد 5 فيفري 1806 بمدينة نانت، هو نموذج من طبقة النخبة المتخرجة من كبريات المدارس التي تأسست مع بدايات القرن الثامن عشر، تتلمذ على يد أوغست كونت وكان من مريديه ، كان كاثوليكيا متحمسا، درس اللغة العربية فور وصوله إلى الجزائر وقرأ القرأن وحاول التعمق لمعرفة الاشكال التنظيمية للقبائل ونظام الملكية والعادات والتقاليد، وأصبح يجوب القبائل ويستخبر عن حوائجهم وشكاويهم ويعدهم بالإنصاف وبهذه الأساليب استسلمت القبائل المجاورة للعاصمة. وقد مكنته قيادة فرق الزواويين والزواف من إشباع ميوله للتعمق في الدراسة وحبك الدسائس والمناورات، سمح له ذلك بالترقي بسرعة حتى نال رتبة جنرال، وكان شغوفا بافريقيا، أعاد صياغة منهج بيجو بشكل تقني، كان كغيره يصبو إلى أعلى المراكز بالإضافة إلى الشهرة وجمع المزيد من الأرزاق بشتى الطرق، كان من المتحمسين ويظهر ذلك جليا في شخصيته، إذا وضع هدفا أمامه يصل إليه، مهما كان الثمن فهو كان يمتز بسرعة البداهة والتخطيط[2].

بعض تصريحاته حول ما ارتكبه من جرائم في حق الشعب الجزائري

يروي عن حياته السياسية والعسكرية والدينية، وعن افتخار بجرائمه بحق الجزائريين والهدف منه القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر الذي كان من ألد أعدائه، كما قام بإبادة عدة قبائلوقتل سكانها بأبشع الطرق.

حيث يقول: "في اليوم الموالي ذهب الجنود إلى القرى المجاورة للبليدة فأشعلوا فيها النيران وقتلوا من بقي فيها، شيء فظيع للمشاهد، وفي المساء كان كل شيء يشتعل، وخلال عودتنا وجدنا البليدة محاصرة وأثناء الذهاب قتلنا كل من يحمل السلاح، وعند كل طلقة تقوم الحامية العسكرية

1 نفسه، ص156-158، بتصرف.

2كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص161، بتصرف.

الموجودة بعين المكان بذبح النساء والأطفال، وعاد الفرنسيون ملعونين في بلد مسيب أعلنا فيه حرب إبادة[1]".

ويقول أيضا: "يوم 30 جوان 1831، وصلنا إلى المدية دون عناء وبدأت المعركة اليوم الأول جويلية، وعندما كنا نريد تدمير القبائل المجاورة[2]، كنا نشرع في تحطيم الأكواخ وإتلاف المزارع والبساتين مثل الأقوام المتوحشة، فنقوم بكارثة حقيقية وكنا نرجع برؤوس مقطوعة على طرف البنادق ونحرق من جديد مدينة البليدة وضواحيها، وحتى نصل إلى ذروة هاته التجاوزات قتلنا قائدان وحززنا رأسيهما أمام الملأ[3]".

ويقول أيضا: "خرجت حامية عسكرية مكونة من 3000 رجل يوم 4 جانفي 1835 مرورا بالدويرة وبوفاريك، وصلت إلى شفة ثم عبرت السهول إلى غاية بورومي حتى حدد متيجة، رحنا نحرق هاته الدواوير دون رحمة أو شفقة[4]، ونقتل الرجال الذين نلتقي بهم ثم نعود إلى الجزائر فرحين بما قمنا به، نصدر بيانا شأننا من هذه العملية الرهيبة[5]، ونتذكر الحملات الوحشية التي كنا نقوم بها انتقاما من قبيلة حجوط الأبرياء حيث كنا ندمر ونحرق ونقتل حتى الجرحى بكل وحشية وبدون رحمة الجرحى، وكان يحمل جنودنا رؤوس دامية لأموات كالغنائم على أطراف البنادق، كنا لا نحترم القسم المؤدي وقد قمنا بذبح رؤسائهم أتوا للجزائر تحت الحماية[6]"

الجنرال دو سانت أرنو Leroy de Saint Arnaud

التعريف به: ولد بباريس 1798 وتوفي والده وهو صغير، تربى في كنف زوج أمه "دوفور كادو لاروكيب" صاحب الشخصية المرموقة في المجتمع الفرنسي، زاول دراسته في ثانوية نابليون التحق بفرقة الحرس الملكي الخاص بصفته فارسا في فرقة غرامون، ثم ملازما في صفوف الجيش وكان في شخصيته عنفوانيا، وكان عرضة لمخاطر كثيرة بسبب حماقاته حيث طرد من الجيش

1 نفسه، ص164، بتصرف.
2 كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص164.
3 نفسه، ص165، بتصرف.
4 نفسه، ص165، بتصرف.
5 نفسه، ص165،
6 نفسه، ص166.

بسبب ديونه الكثيرة الناتجة عن لعبه القمار، ولكنه سدد ديونه بعد حصوله على إرث من عمه المسن، وأعيد للجيش ففرقة المشاة برتبة ملازم[1].

التحق بالجزائر مع فرقة اللفيف الأجنبي التي كان مقررا لها إما الذهاب إلى اسبانيا أو الجزائر وهناك فتحت أمامه آفاق المستقبل العريض بعد الموافقة وبصعوبة، كان مساعدا للجنرال بيجو الذي دعمه، عين نقيبا على جيش الزواف ثم عقيدا شارك في الهجوم على قسنطينة ثم على معسكر[2].

الميزة التي كانت تميزه عن غيره أنه كان يقوم بالمجازر إشباعا لرغبته حيث كان يكثرمنها رغبة في الافتخار والتبجح، وذلك رغبة منه للوصول إلى السلطة، حارب بومعزة واعتقله حيث تحصل على رتبة ماريشال، ونظرا للدور الذي قام به في الانقلاب على الملك، وصل إلى رتبة جنرال[3].

بعض تصريحاته حول ما ارتكبه من جرائم في حق الشعب الجزائري

من الكتابات التي تضمنت جرائمه مؤلف "كترال ليبين" الماريشال سانت آرنو حسب مراسلته في سن الشباب خلال عملياته العسكرية فيصرح:

خرجت عساكر سانت أرنو من مليانة أكتوبر 1842 وتمركزت بواد الفضة، وهذا بعدما حرقت وغزت قبائل براز وسنجاس وأخلت مخازن الحبوب، ويضيف طيلة 15 يوما جبن مختلف القبائل العاصمية وحطمت الدواوير وأفرغت مخازن الحبوب للعصاة، وقد قام سانت أرنو بحملة ضد أولاد عياد في 2 نوفمبر 1842 حاربت القبائل في معركة عنيفة، حيث دمرت على أخرها والنساء والقطعان سلبت وقد أخذ كل واحد من العساكر نصيبه[4].

وأثناء الغزو على سنجاس يقول في تقريره: "كنت لم أترك شجرة قائمة في البساتين، بقدر رأس على أكتاف هؤلاء الشحاذين العرب، ولا بد أن يحسم الأمر، إنها الأوامر المقدمة، ويجب أن

1 كريمة حرشوش، مرجع سابق، ص 171، بتصرف.

2 خولة شلالي وسلمى كلاع، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر من خلال قادة الجيش الفرنسي 1830-1871، جامعة العربي تبسي، تبسة، ص80.

3نفسه، ص80.

4كريمة حرشوش، ص 173- 174-175، بتصرف.

تنفذ بدقة، إنني أقوم بحرق كل شيء، وقطع كل شيء، والسطو على القبائل المنتمية لفرنسا، وذبح قادتها الآباء مثل الأبناء، بالأحرى التمرغ في الدم".[1]

في 7 ديسمبر 1842 كنت مجبرا على حرق أكواخ بني مناصر وقطع أشجارهم المثمرة، حيث قطعنا أكثر من عشرين ألف شجرة خاصة عند بني مناصر وبني فراح وان لم نأخذ عددا كبيرا من البهائم، اعتقدوا أن جنودنا أضروا بالعدو، حيث كانت الجثث مكدسة فوق بعضها مجمدة أثناء الليل إنهم سكان بني مناصر المساكين[2].

واصل سانت أرنو عملياته في 17 أوت 1845 قام بقتل وأسر 250 شخص صبيحة، وحرق أكواخهم وقطع الأشجار وتدمير المنازل وإفراغ مخازن الحبوب، وواصل مطاردة قبيلة صبيحة وقدر عددها بألفين شخصا من المدافعين عن حياضهم وصمم على محاربتهم حيث يقول عن مجزرة قبيلة صبيحة: "أغلقنا كل المنافذ وجئنا بالحطب وأشعلنا النار، وكان الوقت صيفا و لم نترك أحدا يخرج من المغارة، كنا نطلق النار لنجبرهم على البقاء داخلها، وبعد ساعات صار المكان مقبرة جماعية، صورة مرعبة حقا".[3]

أما المجزرة الثانية لقبيلة صبيحة يقول: "تعرفت على كهوف صبيحة يوم 9 أوت وحاصرت المكان جيدا، وانتظرت حتى يوم 12 أوت 1845 أغلقت الكهوف بإحكام وأشعلت النار، فصارت هاته الكهوف مقابر ضخمة ضمت حوالي 500 شخصا ذلك اليوم"[4].

1 نفسه ،ص177.

2 نفسه ، ص 178.

3 نفسه ،ص 178،

4 نفسه، ص183.

الفصل الثاني:

المجازر الفرنسية في الأغواط 1852

المبحث الأول: بدايات الاهتمام الفرنسي بالأغواط:

في تاريخ الصحراء الجزائرية أحداث كثيرة بكثرة رمالها ومن أهم مداخل هذا التاريخ توسع الاستعمار الفرنسي لأن السياسة الفرنسية في الصحراء منذ بدايتها إلى نهايتها كانت تهدف إلى فصل الجنوب الجزائري عن الشمال وإخضاعه إلى إداري عسكري متميز بهدف التوسع في إفريقيا جنوبا ومنافسة الدول الأوروبية بتكوين مواطن نفوذها[1].

وهذا ما يفسر إقدام فرنسا على القيام بالعديد من الرحلات الاستكشافية للمناطق الجنوبية، حيث أن الاهتمام الفرنسي بالصحراء كان قبل الغزو الفرنسي، ويتضح ذلك من خلال تقارير الرحالة الأوروبيين التي استفاد منها الضباط الفرنسيون في غزو الصحراء وتعتبر رحلة"روني كابي"RonieCaibe من أوائل الرحلات التي قام بها الفرنسيون بجنوب الجزائر، حيث أن الاهتمام الفرنسي بها كان من خلال نقطتين أساسيتين هما:

ـ أهميتها التجارية وتراثها الكبير[2]، ومن ذلك يذكر الضابط "لابي"Laphi الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز ما فيها من تضاريس المنطقة الجنوبية، وكانت هذه الخريطة أحسن أداة وظفها الفرنسيون فيما بعد في التوسع العسكري والمدني والتحكم الإداري والاجتماعي في الصحراء[3].

ـ وكذلك قام الباحث أفزاكAfeazac سنة 1836 بانجاز دراسة جغرافية عن منطقة الصحراء، وقد أثمرت هذه الدراسة بوضع خريطة وضحت عليها المعالم الرئيسية خاصة المواصلات القديمة[4].

يعتبر سقوط الزعاطشة في يد السلطة الفرنسية إثر الحملة العسكرية يوم 24 سبتمبر 1849 بداية الدخول الفرنسي القوي إلى الصحراء، بعد احتلال باتنة وبسكرة عام 1844 حيث هذه

1- داوود شريفي، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب (1844-1912)، مذكرة ماجيستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2015-2016.

2- شبلي شهرزاد، الإهتمام الفرنسي بالصحراءالجزائرية، دراسة كان التاريخية، العدد الحادي عشر، مارس 2011، ص74.

3- نفسه، ص74.

4- نفسه، ص74.

الحملة بقيادة "سان جيرمان" ومنذ ذلك الحين بدأت فرنسا تتطلع إلى وضع يدها على الجنوب الجزائري[1].

وهذا ما نلمسه في التقرير الذي أرسله المارشال "سولت"Soult سنة 1845 إلى الملك الفرنسي يبين الأهمية الإستراتيجية والتجارة في توسيع الاحتلال إلى الجنوب جاء فيه « يجب أن تؤلف الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى المناطق الواقعة بعد التلال صنفا ثالثا من الجهات الإدارية، ففي هذه الجهات لا أثر للمعمرين وأن الجيوش لم تتواجد بها إلا غرضا لقمع الفوضى أو لإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية أو توسعها وهي مناطق تفتح لنا المجال لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة ومن علامات تغلبنا أن جلالتكم تقتضي بتعيين قواد من الأهالي في هذه المنطقة[2].

وجدت فرنسا مساعدات من بعض الشيوخ أثناء توسعها[3]، ونجد أن المعلومات المتحصل عليها عن طريق ترجمة وطبع كتب الرحلات والمعلومات وغيرها، دفعت الفرنسيين إلى التوسع في أعماق الصحراء للسيطرة على كامل التراب الوطني وتقدر في عام 1840 من احتلال البلاد كلها، وعين الجنرال بيجو حاكما عام 1841 فاستهل حكمه بتطبيق الاستيطان الرسمي في مختلف أنحاء البلاد بما فيها الجنوب[4].

يمكن أن نقسم الحملات التوسعية العسكرية الفرنسية للصحراء الجزائرية إلى ثلاثة أقسام:

أ- الحملات التوسعية العسكرية في القسم الصحراوي للأوسط:
- إخضاع الزعاطشة يوم 4 سبتمبر 1849.
- احتلال الأغواط يوم 4 ديسمبر 1852.

ب- الحملات التوسعية العسكرية في القسم الأوسط الشرقي

1- فوزية بن طوشة، المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء، مذكرة ماستر تخصص تاريخ حديث ومعاصر، 2015-2016، ص19.

2- أندري فوشي وأخرون، مرجع سابق، ص385.

3- يحي بوعزيز، وثيقتان جديداتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله، دار الثقافة، العدد 33، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1997، ص11.

4- إبراهيم لونيسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص21.

- واد سوف يوم 13 ديسمبر 1854.
- تقرت 25 ديسمبر 1854.
- الهقار 21 جانفي 1904.

ج- الحملات التوسعية العسكرية في القسم الصحراوي الغربي

- عين صالح وثورة توات بين عامي 1900-1903.
- منطقة الساورة في جوان 1903[1].

حاول كل من الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي أن يفرض سلطته على المناطق التي كانت تحت نفوذه، خاصة الأمير عبد القادر الذي حرص بعد إمضائه معاهدة تافنة، على استتباب الأمن وإخضاع القبائل الصحراوية إلى نفوذه لتدعيم أركان دولته الفتية قبل وصول نفوذ الفرنسيين إليهم[2].

أدرك الأمير جيدا أهمية الصحراء باعتبارها نقطة ارتكاز للمقاومة لذلك سعى إلى إدخالها تحت نفوذه وعزم على جعل عين ماضي مخزنا لذخيرته وكنوزه، ونقطة دفاع، وجد معارضة من بعض الأغواط الغرابة خاصة سي محمد الصغير التجاني وبذلك رفضت عين ماضي الخضوع[3].

ولقد حاصرها 8 أشهر و 20 يوما إلى ان قل ما بيده من الزاد وامتنع من النفع، لم يطلق عليها و لم يجد لها سبيلا لكبيرها التجاني[4].

والجدير بالذكر أن في هذه الأوقات الحرجة استغلت السلطات الفرنسية لكي تلين من موقف الأمير تجاه معاهدة تافنة فأهداه الحاكم العام الجديد الجنرال فالي Volée ثلاثة مدافع حصار مع ذخيرتها، ليدك بهم حصون خصومه، وبذلك يضرب الاحتلال الفرنسي عصفورين بحجر واحد

1- فوزية بن طوشة، مرجع سابق، ص19-24.

2- محمود علالي، إهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية، الأغواط نموذجا، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد 02، ص96.

3- نفسه، ص97.

4- بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى، 1990، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص173.

وهما تنازل الأمير عن بعض بنود المعاهدة والقضاء على مرابط قوي يمكن أن يكون لهم خصما عنيدا وثائرا في المستقبل[1].

استسلام الشيخ محمد بن أحمد التجاني في22 نوفمبر 1838 ووقعت معاهدة بين الطرفين بالجلاء عن عين ماضي[2].

تحالف التجاني مع أحمد بن سالم بعد خروجه من عين ماضي على تحطيم نفوذ الحاج العربي ولما علم الأمير بذلك عوضه بسي قدور بن عبد الباقي من نواحي تاقدمت.

عثر سكان الأغواط على المدفع وبقية الأسلحة التي تركتها قوات الأمير وراءها سنة 1839 ثم أسند الأمير الخلافة على الحاج العربي الذي واصل الصراع مع خصومه خاصة أحمد بن سالم الذي استطاع في الأخير أن يقبض على الحاج العربي في قصر لحيران ثم قام بإعدامه سنة 1842 وبذلك تم القضاء على نفوذ الأمير في المنطقة نهائيا[3].

كان الاهتمام الفرنسي بمدينة الأغواط قديما جدا يعود تقريبا إلى السنوات الأولى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ككل، بعد توقيع الأمير لمعاهدة تافنة سنة1837, أراد الأمير أن يوسع دولته وينظمها فحاول الاتصال بكل القبائل التي تقدم له الدعم المادي والمعنوي لمقاومته ومن بينها قبائل الأرباع التي تسكن مضارب مدينة الأغواط وبعين ماضي وتاجموت[4].

بعد أن أصبح الجو خاليا لأحمد بن سالم، ومن أجل الحفاظ على نفوذه من جهة وتفاديا الانتقام من الأمير من جهة أخرى بدأ يعمل على استمالة إدارة الاحتلال الفرنسي وأبدى استعداده

1- محمود علالي، مرجع سابق، ص97.

2- محمود علالي، مرجع سابق، ص 97.

3- نفسه، ص97 .

4- عام الخلية، فيلم وثائقي حول الإبادة الجماعية التي ارتكبتها فرنسا في ولاية الأغواط سنة 1852 من إنتاج وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، الجزء الأول، 17-12-2014.

للتعامل معها[1]، والتحالف مع الفرنسيين فاستجابت له السلطات الفرنسية لكونها تبحث عن مساعدة القوى المحلية هذه الأخيرة التي سهلت من مهمة التوغل الفرنسي في المنطقة[2].

كان أحمد بن سالم طموحا للحكم مستغلا من أجل ذلك كل الطرق، نفوذ التجاني الذي يدعي الانتماء إلى طريقته، ونفوذ الفرنسيين أيضا وهكذا كانت سنوات 1839-1944 قد مثلت صراعا بين المقاومة وأعدائها في نواحي تاجموت وعين ماضي والأغواط، وكان ذلك الصراع قد مهد الطريق أمام دخول الجنرال "ماري مونج"MaregMounge الأغواط[3].

وانطلقت حملة ماري مونجعلى المدينة في 1 ماي 1844 وتكونت من 1500 جندي من بينهم 140 من قناصة إفريقيا و 400 فارس من عدة قبائل و 1400 جمل ومؤونة غذائية تكفي ما يقارب 21 يوما و 7200 من الخرطوش ولقد وصلت الحملة على تاجموت قرب عين ماضي[4].

وعند وصول هذه القوة العسكرية إلى قصر زكارة في جبل الصحاري أسرع أحمد بن سالم بإرسال أخيه يحي بن معمر إلى القائد العسكري الفرنسي، ليقدم له الولاء ويطلب منه أن يمنحه منصب خليفة على الأغواط لتمثيل السلطة الفرنسية بقصورها الخمس «العسافية، قصر الحيران، الحويطة، تاجموت، وعين ماضي» بالإضافة إلى الأرباع والحرازلية وبني مزاب[5] (**أنظر الملحق رقم 07**).

وأعد الجنرال مونج خلال هذه الرحلة ما يسمى بالخريطة الطبوغرافية اللازمة وهي عبارة عن رحلة استكشافية تجسسية[6].

فأرسل الجنرال مونج تقريرا إلى الماريشال سولت ما يلي:

1- محمود علالي، مرجع سابق، ص99.

2- عيسى بوقرين، الهلوكوست الفرنسي في الأغواط 4 ديسمبر 1852، مجلة قضايا تاريخية، العدد11، جويلية 2019، ص38.

3- محمود علالي، مرجع سابق، ص99.

4- خديجة طبايبة وسعاد حليمة، مرجع سابق، ص73.

5- محمود علالي، مرجع سابق، ص99.

6- عام الخلية، فيلم وثائقي حول الإبادة الجماعية التي ارتكبتها فرنسا في ولاية الأغواط سنة 1852 من إنتاج وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، الجزء الثاني، الأغواط.

"إن المناطق ذات الأهمية في الصحراء هي ضرورية لسياستنا وتجارتنا كما يجب أن نسود في كل مكان ساد فيه عبد القادر..... وبسيطرتنا على هذه المناطق سنفتح آفاق جديدة واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية ونعمل على حرمان عبد القادر مصادره في هذه الأماكن"[1].

وافقت الحكومة على اتخاذ كل الإجراءات اللازمة وأعطت الأوامر لتحضير بعثة عسكرية استكشافية إلى الأغواط أوكلت قيادتها إلى الجنرال ماري مونج.

لكن محمد الصغير التجاني لم يخرج إليه اكتفى بإرسال رسالة ووفد ولما سأل لبضابط الفرنسي عن ذلك قيل أنه لا يخرج للملوك والحكام فأرسل إليه الجنرال فرقة عسكرية صغيرة ليرى إن كان صادقا في دعوة الإخلاص والأمن، وكانت الفرقة تتكون من 12 ضابطا على رأسهم العقيد سانطارنو وكان الهدف هو التعرف على المدينة، كما أرسل معهم جنودا فرنسيين و 200 من الفرسان الموالين لأحمد بن سالم، ورؤساء الأرباع، واستقبلهم محمد الصغير أحسن استقبال واستفسر عن الاحوال، وحققوا هدفهم وتعرفوا على المدينة من الداخل واعلن لهم الخضوع ودفع لهم الضريبة وقدرها 200 بوجو[2].

وحتى توطد فرنسا علاقتها بالشيخ التجاني أرجعت له ما دفع من الضرائب[3],

وعن هذه المهمة يقول "أرنو" انطلقنا على الساعة الثامنة صباحا رفقة عشرة ضباط ومائة وخمسة عشر رجلا يوفرون لنا الحماية، دخلنا عين ماضي وشرحت لأعيان القصر أننا جئنا كأصدقاء وأننا نوفر لهم الحماية، وأن الفرنسيين أصبحوا أسيادا ولا أحد يمنعهم من دخول أي مكان يرغبون دخوله...، دخلت عين ماضي مع عشر ضباط وستة قناصيين وبعض شيوخ القوم وتجولت في كل مكان... أما بالنسبة للتجاني فقد بقي في زاويته لا يرد مقابلة أحد من المسحيين[4].
المسحيين[4].

1- عيسى بوقرين، المرجع السابق، ص38.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ص206.

3- محمود علالي، مرجع سابق، ص99.

4- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص39.

ويعلق "ترومليي" على هذه الزيارة بقوله: «لقد نجح أرنو في التعامل مع عين ماضي وأعطى صورة حسنة على بلاده، فهي تعد غزوة حقيقية، جعلت التجاني يدفع الضريبة»[1].

ثم تحركت الحملة يوم 23 ماي وطافت عدة مناطق محيطة بالأغواط منها قصر الحويطة في الجنوب الغربي يوم 24 ماي ثم الأغواط نفسها يوم 26-27 ماي فقصر الحيران يوم 28 ماي، وكان أحمد بن سالم هو دليل هذه الحملة والتي كانت عبارة عن مسح عام واستكشاف للمنطقة[2].

فعين ماري يونج أحمد بن سالم خليفة على الاغواط باسم فرنسا[3].

وفي حفل أقيم خصيصا لذلك حضره الضباط الفرنسيون والشيوخ المحليون وقرئ مرسوم بالغتين العربية والفرنسية وأطلقت طلقة مدفعية، رفع على إثرها العلم الفرنسي وسلم الخليفة أحمد بن سالم راية الأمير عبد القادر التي انتزعها من الخليفة السابق الحاج العربي إعلانا منه بخروج المنطقة من سلطة الأمير ودخولها تحت الحكم الفرنسي[4].

وقد كان هذا التعيين باعتبار أنه شخصية مرموقة ويمثل الضمان الكامل للنفوذ الفرنسي في الأغواط، وكذلك لأن عدو الأمير عبد القادر وبذلك فقد أعطيت له صلاحيات الخليفة، فحدد له مرتب ب 18 ألف فرنك و 2500 فرنك لكل آغا يعينه بالإضافة إلى أنه كون قوة مشكلة من 200 جندي مشاة و 20 فارس[5].

ونصب ماري مونج بن سالم رسميا خليفة للفرنسيين ما دام سيحارب خلفاء الأمير ويضرب المقاومة ويجبي الضرائب من المواطنين ويقدمها للعدو[6]، وبالتالي فإن هذا الاعتراف يساعد الفرنسيين حسب تقرير مونج على(**أنظر الملحق رقم 08**) :

- إخضاع كل سكان الجنوب والغرب وحتى الثائرين منهم.
- إرهاب السكان الموالين للأمير والذين يساندونه.

1- نفسه، ص39.

2- نفسه،ص39.

3- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص206.

4- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص39.

5- نفسه، ص39.

6- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص281.

- جلب التجارة الداخلية نحو الجزائر العاصمة بدلا من توجهها نحوتونس والمغرب[1].

استطاع الأمير خلال عام 1846 أن يكسب تأييدأولاد نايل بجنوب المدية، عن طريق الشريف بن الأحرش، مما جعل أحمد بن سالم معزولا في منطقة الأغواط ورغم ذلك بقي مخلصا للسلطة الفرنسية التي استطاعت أن تخلف نوعا من التنافس والتفاخر بين بعض الزعماء والقادة[2].

لأن فرنسا اهتمت منذ البداية بالصراع الدائر بين الأمير ومحمد الصغير التجاني، فقد حاولت إذكاء نار الفتنة بين الطرفين من أجل تفريق أبناء الوطن الواحد، سياسة فرق تسد، وأشاعت أن الأمير قدم إلى المنطقة للقضاء على أتباع التجانيةحتى تكسب صفا على حساب أخر، ويمكن أن نستنتج ذلك من خلال الكثير من المواقف منها:

- تقديم الحاكم العام "فالي"ثلاثة مدافع للأمير في ظاهرها تدخل ضمن خلال معاهدة تافنة، إلا أنها كانت للضغط على الأمير من جهة وإشعال نار الحرب بين الأخوة من جهة أخرى.
- الاستعلام عن قوة الأمير من خلال الكثير من الرسائل، فهذا دليل على اهتمام فرنسا بالمنطقة ومعاينة مواطن القوى والضعف، وعلى ضوئها يمكن أن تعتمد استراتيجية التوسع[3].

وأهم انشقاق وقع في هذه الفترة حصل بين أحمد بن سالم وصهره ابن ناصر بن شهرة قائد الأرباع وقد أدى ذلك إلى اضطرابات خطيرة بالجنوب، وأحداث جسيمة بجنوب إقليم المدية دفعت ابن ناصر بن شهرة إلى الانضواء تحت قيادة المجاهد الشريف محمدبن عبد الله[4].

لما كان قائد الأرباع بن ناصر بن شهرة في منطقة بوغار في المدية، كانت فرنسا تعرض عليه مغريات للتودد له من أجل كسب قبيلة الأرباع الكبرى، وبالتالي يمكن أن تجنب منطقة كبيرة من الصحراء دون الدخول في صراع مع فرنسا[5].

1- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص40.
2- محمود علالي، مرجع سابق، ص40.
3- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص40.
4- محمود علالي، مرجع سابق، ص100.
5- نفسه، ص100.

عندما خيم ابن ناصر بن شهرة مع أهله الأرباع بالشهبونية غرب بوغار نصب كمينا لقوات الملازم كروس Corus مع ثلاثين صبايحي، من المدية يوم 3 سبتمبر 1851 حيث جردهم من أسلحتهم ليرجعوا من حيث جاءوا مشيا على الأقدام، رجع بن ناصر بن شهرة إلى الأغواط واستولى على قرية قصر الحيران وحصنها، فاتصل به السكان من كل جهة خاصة أعيان المدينة للتعاون معه لأنهم يئسوا من سياسة الاحتلال الفرنسي، كما التف حوله الحرازلية وأولاد سيدي عطا الله، وأولاد سعيد عتبة والخادمة من ورقلة، وعزموا على الثورة للتخلص من نفوذ الاحتلال الفرنسي[1]. عند ذهاب ابن ناصر إلى مدينة ورقلة اتفق مع الشريف محمد بن عبد الله على الجهاد، جاءا مع بعض إلى قصر الحيران التي وضعت كقاعدة خلفية لتحصين مدينة الأغواط، والدفاع عنها ووضعت مجموعة من الترتيبات أبرزها جلب السلاح[2].

على إثر هذه المخاوف أمر الوالي العام للجزائر الجنرال "راندون" يوم 7 فيفري الجنرال "لادميرول"Ladmirole بتشكيل طابور متنقل، فاستدعى هذا الأخير كل قوم التيطري والتل وشكل منهم قوة تتألف من 1500 فارس وانظموا إلى قوم أولاد نائل تحت قيادة الشريف بن لحرش، وفي 22 فيفري تحرك الطابور المتكون من عدة سرايا وفرق عسكرية واتبع الجنرال لادميرول الطريق الذي سلكه ماري مونج سنة 1844 لأنه قد قدم للمصالح الاستعمارية عدة معلومات ضرورية حول احتلال الجزائر[3].

قاد الجنرال لادميرول سرايا من الجند الفرنسي وجاء جنوب منطقة الجلفة من أجل القبض على بن ناصر بن شهرة ولكنه لم ينجح، وفي تقريره الذي كتبه إلى السلطات الفرنسية كان قد أوصى بضرورة القيام بحملة عسكرية كبيرة لاحتلال مدينة الأغواط، وكسر المقاومة التي توسعت في الجنوب من ورقلة إلى جبال عمورة في الشمال الغربي وحتى حدود المدية وتهدد الوجود الفرنسي إذا ما استمرت[4].

1- نفسه، ص100,

2- عام الخلية، فيلم وثائقي حول الإبادة الجماعية التي ارتكبتها فرنسا في ولاية الأغواط سنة 1852 من إنتاج وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، الجزء الثالث.

3- محمود علالي، مرجع سابق، ص101.

4- عام الخلية، المرجع السابق،الجزء الثالث.

أرسلت فرنسا محاولة عسكرية لجس نبض قوة المقاومة لمدينة الأغواط ولاحتلالها، فكانت هذه المحاولة بقيادة الجنرال يوسف، الذي كان قائدا عاما لمنطقة المدية وقبل أن يأتي الجنرال يوسف لمدينة الأغواط قرر بناء مركز قيادة في مدينة الجلفة يكون قريب من منطقة الاغواط، وتوجه الجنرال يوسف على رأس جيش يقدر ب 20 ألف جندي إلى المدينة في المحاولة الاولى للسيطرة عليها، ولك نتصدى سكان المنطقة بقيادة بن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله ، ثم تراجع الجنرال يوسف إلى قصر العسافية في محاولة لإعادة النفس وطلب الدعم الكبير من السلطات الفرنسية، كما أرسل تقرير يشير فيه على أن المعركة عنيفة ولا بد من قوة كبيرة لاحتلال المدينة فتلاحقت القوات الفرنسية تباعا[1].

ولقد حدثت عدة مواجهات بين تاريخ 21 نوفمبر إلى غاية 2 ديسمبر[2].

المبحث الثاني: طبيعة القوات المحاصرة للأغواط:

إن الاستعمار الفرنسي لم يستطيع السيطرة على المدينة، إلا بعد أن جيش لها خيرة رجاله وبأعداد كبيرة فقد أحاطت القوات الغازية المدينة من كل جوانبها.

وقررت نهائيا احتلال مدينة الأغواط في 03 ديسمبر 1852 وكانت موزعة **كالأتي** (**أنظر الملحق 09**):

- من الشمال الجنرال يوسف Yusuf .
- من الشمال الغربي العقيد ترومليTrumelet .
- من الغرب الجنرال بيليسيPillissier .
- من الجنوب الغربي الجنرال بوسكارينBouskarien .
- من الجنوب الشرقي العقيد بان Bein .
- من الشرق القائد موراندMorand[3].

1- نفسه.

2- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص100.

3- نفسه، ص43.

ولقد حدثت عدة معارك بدأت في 21 نوفمبر لأن المناوشات الحقيقية بدأت تقريبا في 29 أكتوبر 1852[1] .

تفصيل لأهم القوات التي جهزتها سلطة الاحتلال الفرنسي من أجل احتلال مدينة الأغواط بالقوة هي:

- فصل قوات الفرقة الأولى والثانية والرابعة للمدفعية.
- فصل الفرقة الثالثة للهندسة
- الخط الخمسون مع كتيبة تحت قيادة العقيد مركيز دولينيار.
- الخط الستون مع كتيبتين تحت قيادة العقيد مركيز دولينيار.
- الفرقة الأولى من الزواف مع الكتيبة تحت قيادة الرائد باروا.
- الفرقة الثانية من الزواف مع كتيبتين تحت قيادة كل من كليرك والرائد موران والرائد ملافوس.
- الكتيبة الأولى للمشاة الإفريقية الخفيفة تحت قيادة الرائد ليبيرت.
- فصل من فيلق للرماة من إقليم قسنطينة.
- أربع سريات للفرقة الثانية من إفريقيا تحت قيادة العقيد رام.
- سريتان للفرقة الأولى للصبايحية تحت قيادة الرائد فرانك.
- سريتان للفرقة الثانية للصبايحية تحت قيادة الرائد دولاتورلوندو[2].

3 جنرالات، 6 عقداء، 8 ضباط برتبة رائد، 10 ضباط برتب مختلفة

وحدثت في هذه الثلاثة أيم من 2 إلى 4 ديسمبر 1852 هجوم مكثف على المدينة، وبدأت القوات الفرنسية بهجوم مدفعي شديد[3]، والذي من خلاله استطاع إحداث ثغرة في الجدار ومنها

1- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الثاني.

2- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص44.

3- عام الخلية، المرجع السابق، الجزء الثالث.

تسرب جنود الجيش الفرنسي وتقدمت هذه الجيوش الفرنسية إلى احتلال المدينة كلها، وانتقلت المقاومة من الشوارع والمنازل والأزقة إلى البساتين ودامت هذه المقاومة أكثر من أسبوعين[1].

واستطاعت المقاومة أن تقضي على جنرال والعديد من الضباط الساميين، زيادة على هذا الوحدات الجيش البري للقوات الخاصة[2]، على يد المقاومة التي ظلت تدافع بشجاعة فائقة رغم الاختلاف في العدة والعتاد الحربي، واعترف الفرنسيون أنفسهم بشراسة المقاومة وقوتها، وذهب ضحية هذه المواجهة ضد الفرنسيين 2500 شهيد من أهل البلدة من مجموع 3600 ساكنا، أي أكثر من ثلثي السكان بالإضافة إلى العدد غير المحدد من الجرحى، ودامت الهمجية الاستعمارية تعبث قتلا وفسادا أكثر من أربعة أيام بعد سقوط الأغواط في 4 ديسمبر 1852، وبالفعل أصبحت المدينة مخربة ومحطمة[3].

إن الجنرال بيليسي اتخذ بعد المجزرة قرارا بهدم المدينة واقتلاع نخيلها وترحيل من بقي من السكان إلى منطقة أخرى في الجزائر[4]، إلا أن الماريشالراندون أوقف ذلك وبعث ببرنامج من خمس نقاط إلى الجنرال مارغاليتMargueritte القائد الأعلى لمدينة الأغواط تتضمن ما يلي:

- توفير الامكانيات اللازمة من أجل ملاحقة المتمردين وإتمام السيطرة عل كامل البلاد.
- جعل مدينة الأغواط كبيرة وجميلة (مركز سياسي وتجاري) حتى تثبت لسكان الصحراء مدى القوة الفرنسية التي تستطيع أن تحطم ثم تبني.
- تطوير الثقافة الفرنسية وربط الأهالي بالأرض وجعل القصور المحيطة بالأغواط مزدهرة وغنية.
- تطور تجارة الأسواق ومن ثم تحسين السلالة الغنمية.
- تمتين العلاقات مع أقصى جنوب الصحراء[1].

1- أوجاع الذاكرة، فيلم وثائقي عن مجازر الاحتلال الفرنسي في الأغواط، الجزيرة الوثائقية، 15-11-2017.

2- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الثالث.

3- علالي محمود، مرجع سابق، ص100.

4- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص36.

وكان لسقوط مدينة الأغواط صدى كبيرا في كل الصحراء، فقد نجحت فرنسا في ربح جزائر أخرى في الجنوب ، ومن الأغواط تم توجيه حملات عسكرية ضد عدة مدن صحراوية منها غرداية سنة 1853 وتقرتوورقلة سنة 1881 ثم لمنيعة سنة 1891[2].

المبحث الثالث: المقاومة الشعبية (مقاومة ابن ناصر بن شهرة)

تعتبر مقاومة ابن ناصر بن شهرة من أطول المقاومات الشعبية في الجزائر، وأوسعها من حيث الرقعة الجغرافية التي انتشرت فيها، كما تعتبر ذات بعد إقليمي عربي مسلم وليس وطني فحسب، كما تعتبر من أهم المقاومات في الجنوب الجزائري التي قارعت التوسع الفرنسي وزحفه نحو الصحراء الجزائرية وعطلت مشاريعه وطموحاته، كما تعتبر شخصية بن ناصر بن شهرة من أهم الشخصيات التي تمتعت بحسها الوطني العالي تجسد ذلك من خلال مشاركته في الكثير من الثورات والمقاومات التي عاصرها، وشارك في الكثير من المعارك كجندي مدافع غير مدعيا لزعامة ولا للقيادة.

تعريف شخصية ابن ناصر بن شهرة:

هو ابن ناصر بن شهرة واسم أبيه بن فرحات[3]، ولد سنة 1804 بضواحي الأغواط، ينحدر من فرقة أولاد سي عيسى من عرش المعامرة المنتمية بدورها إلى قبيلة الأرباع الكبرى التي تسكن تلك المضارب، وهو من عائلة توارثت المجد والقيادة، وقد تربى في وسط يتفاخر فيه الناس بالشهامة والبطولة والفروسية، فنشأ فارسا شجاعا واشتهر جده فرحات بالشجاعة والكرم مما أهله لأن يكون قائدا على الأرباع كلها[4].

1- محمود علالي، مرجع سابق، ص101.

2- نفسه، ص101.

3- أحمد بوزيد قصيبة، ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871، مجلة الأصالة، العدد 06، جانفي، 1992، ص56.

4- عيسى بوقرين، ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب 1850-1875، مجلة الباحث، العدد، 17.

فحفظ القرآن الكريم منذ صغره وشب على فنون القتال والفروسية، تعلم على يد مجموعة من المشايخ من بينهم أحمد الشاوي شيخ الطريقة القادرية، وبعد وفاة والده ارتقى عرش السيادة بدوره على قبائل الأرباع سنة 1846[1].

تعتبر قبائل الأرباع إحدى أكبر القبائل في الصحراء في ذلك الوقت التي كانت ترحل نحو المناطق التلية في فصل الصيف قصد تبادل المنتجات المختلفة مع مختلف القبائل الأخرى والتزود بالقمح.

وكان الأمن مفقودا و لم يقدر على التنقل إلا من كان له الشجاعة والإقدام على الدفاع عن الأهل والأموال والماشية، فتربى مترجما ابن ناصر بن شهرة في هذا الجو المملوء بالبارود والفروسية والكر والفر[2].

تزوج ابن ناصر بن شهرة ثلاثة زوجات، كانت الأولى من بنت سلطان مدينة الأغواط السيد أحمد بن سالم، والتي طلقها بعدما رفضت مرافقته إلى أعماق الصحراء أين عزم على مقاومة الاحتلال الفرنسي بمدينة ورقلة, وتزوج من بنت أحد قادتها وهو من المخادمة، وكانت تسمى"الياقوت" والتي توفيت بعدما أنجبت له ولدين محمد وبن شهرة، ليتزوج من المرابطة "نوة" أخت المولاي عبد القادر الإدريسي والتي أنجبت له ولدين وثلاثة بنات[3].

أما عن أوصاف هذا البطل فهو أشقر اللون، أحمر الشعر وخاصة لحيته كثيف شعر الحاجبين دائري الوجه مدرع البنية، له بندقية فريدة من نوعها، ماهرا في الرماية أول الصف في المعركة، يلبس الحائك من الصوف ويعمم "يلبس العمامة" مثل الأمير عبد القادر، وكان إذا حمى وطيس المعركة يتنقب "أي يتلثم"وكان عالما بدقائق الصحراء حتى كان يلقب بالملاح الحقيقي للصحراء[4].

1- محمد سعيدي قاصري، دور القائد بن ناصر بن شهرة في ثورة الأمير محي الدين في الشرق الجزائري سنة 1871، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 14.

2- أحمد بوزيد قصيبة، مرجع سابق، ص56.

3- أ.حسينتواتي، بناصر بن شهرة والشريف بوشوشة، أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، العدد 04، ديسمبر 2014، ص38.

4- عيسى بوقرين، بن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب، مرجع سابق، ص217.

ومهما حاول المستعمرون حصاره للقبض عليه، انفلت منهم بأعجوبة وتسلل من الحصار بسبب معرفته التامة بخفايا الصحراء، وكان بطلا شجاعا دام كفاحه أكثر من 24 سنة ضد الاستعمار الفرنسي من سنة 1851 إلى سنة 1875 وقد وجد التأيد في الجنوب التونسي بصحراء الجريد وخصوصا لدى الزاوية الرحمانية بنفطة، التي كانت ملجأ وملاذا للثوار الجزائريين[1].

ظل يناوش الاستعمار من هناك على الحدود مدة طويلة من الزمن ومنذ 1851 لم يتوقف هو وأتباعه من الأرباع عن الحرب ضد الاستعمار أو القبائل المتعاونة معه، قال فيه أحد الثوار قولا مشهورا: «في الخيل عودي وفي الرجال ابن ناصر بن شهرة»، ساهم في الكثير من المقاومات والانتفاضات كمقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة 1851 ومقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864 وبشوشة في الصحراء 1869 وثورة المقراني والحداد سنة 1871[2]، جاب كل الصحراء من الشرقإلى الغرب قصد استنفار الهمم والحث على الجهاد، فشكل بذلك أول قيادة جماعية للمقاومة وفي 02 جوان 1875 نفي من قبل باي تونس والذي أذن له بالركوب من مرسى حلق الواد إلى بيروت، ومنها إلى دمشق[3].

حيث أمضى بقية حياته بها مجاورا لصديقه الأمير محي الدين ابن الأمير عبد القادر، وبها توفي رحمه الله سنة 1884 فيكون قد عاش 80سنة[4].

بداية مقاومته 1851

كان مشواره الجهادي قد بدأه منذ اعتلاء قيادة الأرباع سنة 1846 حيث كان يرفض كل التعامل أو اتفاق مع الاستعمار الفرنسي، وذلك برغم من العروض المغرية التي كان القائد العام لمنطقة المدية "الجنرال لادميرول" يعرضها عليه مقابل قبوله الانضواء تحت راية الفرنسيين[5].

1- أحمد بوزيد قصيبة، مرجع سابق، ص57.
2- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص218.
3- نفسه، ص218.
4- أحمد بوزيد قصيبة، مرجع سابق، ص58.
5- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص218.

وفي 5 سبتمبر 1851 كان ابن ناصر بن شهرة وقبائل الأرباعتحت الإقامة الجبرية قرب المعسكر بوغار، ولكنه رفض هذا التصرف من الفرنسيين وتوجه إلى الشهبونية،حيث لحقه الملازم اليهودي "كروس" مع فرقة من 30 من الفرسان الصبائحية[1].

وكانت في لهجة المبعوث "كروس" نبرة حادة تحمل في معانيها الكثير من التهديد والوعيد، إذا ما رفض القائد ابن ناصر بن شهرة الانصياع لهذا العرض، فم يكن أمامه إلا أن يعلن جهرة عن حقيقة شعوره إتجاه الاستعمار فحضر هو وأخيه أبو بكر كمينا لهذه البعثة ليبرهن عن قدراته القتالية ويعلن بذلك قيام انتفاضة[2].

فجرهم ابن ناصر بن شهرة وأخوه من أسلحتهم وألبستهم العسكرية، وقال للملازم الفاشل: "إني أجردك من أسلحتك وخيولك وأطلق سراحك، وأرجع إلى من أرسلك وقل له إن بن ناصر بن شهرة قد فارق خدمة الفرنسيين التي كلها مذلة وإهانة، ويلتحق بمن يمثل الدين والاستقلال "، فرجع الملازم كروس وفرقته إلى بوغار مشيا على الأقدام[3].

وفور وصول المبعوث كروس إلى المدينة أطلع الجنرال "لاميرول" على ما وقع له سارت المخاوف والشكوك من اندلاع مقاومة في الصحراء لذلك توجه الجنرال لادميرول على رأس قوة مؤلفة من 1300 من المشاة و 500 فارس نحو الأغواط، بأمر من الوالي العام الجنرال "راندو" موقع بتاريخ 17 فيفري 1852 وتحركت هذه القوة بتاريخ 22 فيفري 1852 ووصلت بتاريخ 9 مارس[4].

ولما أبلغ الجنرال لادميرول بقوة ومناعة ابن ناصر بن شهرة، في قصر الحيران، إكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينة الأغواط، وكانت تلك المراسلات تحمل نوعا من التودد والعروض المغرية[5].

لكن بن ناصر بن شهرة رفضها، فرجعت الحملة إلى المدية وهي عبارة عن عملية جس نبض قوة المقاومة[1].

1- أحمد بوزيد قصيبة، مرجع سايق، ص58.

2- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص219.

3- أحمد بوزيد قصيبة، مرجع سابق، ص58.

4- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص226.

5- نفسه، ص226.

ثم اتصل بطلنا بن ناصر بن شهرة بأخيه في الجهاد محمد بن عبد الله في ورقلة[2].

وتوحدت صفوف المقاومين في منطقة واسعة جدا، امتدت من جنوب المدية شمالا إلى غاية جنوب ورقلة وعين صالح في الجنوب إلى تقرت وبسكرة وتبسة شرقا وحتى البيض وتيارت غربا، وضمنت ولاء الكثير من القبائل الكبيرة[3].

ومن أبرز المعارك التي قادها ابن ناصر بن شهرة رفقة محمد بن عبد الله في هذه الفترة تلك التي وقعت بتاريخ 22 ماي 1852 جنوب وادي جدي، ويسميها الفرنسيون بعملية "الكومندانكوليفو" حيث زحفا الإثنان من ورقلة فسيطرا على نقوسه ودخلا تماسين كما حاولا دخول تقرت لكن المحاولة باءت بالفشل[4].

فاتصلا من السيد الشريف بن الأحرش للحصول على المساندة لكن لم تنجح هاته المفاوضات وهناك وقع الفرنسيون في رعب شديد باتصال ابن ناصر بن شهرة بثوار الصحراء[5].

اتفق بن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله على جعل الأغواط منطلقا للعمليات ضد الاستعمار وقد شرع في تنفيذ هذه الخطةفي نهاية شهر جويلية.

حيث استولى على قرية قصر الحيران وحصنها وذلك في 31 جويلية 1852 ولما عزم سكان مدينة الأغواط على الثورة في وجه الفرنسيين اتصلوا بالبطل بن ناصر بن شهرة في وفد عظيم وكان من بينهم أحد شيوخ بني الأغواط السيد يحي بن معمر الذي كلن متفقا معه في السياسة النضالية، وبعد مفاوضات التمسوا أن يتصل بسلطات ورقلة ليكون قائدا للثورة[6].

بعد انتقال بن ناصر بن شهرة إلى مدينة ورقلة وتفاهمه مع الشريف محمد بن عبد الله، جاءا مع بعض إلى قصر الحيران التي وضعت كقاعدة خلفية لتحصين مدينة الأغواط والدفاع عنها[7].

1- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الثاني.

2- أحمد بوزيد قصيبة، مرجع سابق، ص58.

3- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص226.

4- نفسه،ص226.

5- أحمد بوزيد قصيبة، مرجع سابق، ص58.

6- نفسه، ص58.

7- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الثالث.

وبالفعل فقد توافدت أعداد معتبرة من الثوار في 9 سبتمبر 1852 وكان أول الوافدين الثائرين التلي بالأكحل ويحي بن معمر ويحي بن سالم ثم التحق به شريف ورقلة[1].

ووضعت مجموعة من الترتيبات، أبرزها لا بد من جلب السلاح الأن للمقاومين أهالي الأغواط لأهم عزل، فتوجه وفد من الأغواط إلى مدينة القرارة التي كانت مخزن الأسلحة، وتم جلب السلاح من هذه المنطقة[2].

وفور وصول هذه الأخبار إلى السلطات الفرنسية، أدركت أهمية المنطقة وضرورة السيطرة عليها، عزم الجنرال يوسف على مراقبة الوضع عن قرب فشرع في بناء مركز قيادة جديد في الجلفة لكونها النقطة الرابطة بين بوغار والأغواط وتسمح بمراقبة الثائرين[3].

ولما علم الجنرال يوسف بقدوم قوة بن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله اتجاه الأغواط سار جنوبا على رأس قوة كبيرة لصدهم عنها، وكان قبل سيره أرسل رسائل إلى سكان الأغواط يحثهم فيها على عدم استقبال المقاومين لأنهم خطر عليهم، لكن الحملة باءت بالفشل[4].

وبعدها أرسل بن ناصر بن شهرة أخيه سي النعيمي رفقة الشريف محمد بن عبد الله نحو المناطق الشمالية في اتجاه جبال العمور لتحريض سكان هذه المنطقة، في محاولة لتجيش أكبر عدد من الرجال لمقاومة الزحف الفرنسي[5].

تطبيقا للخطة المتفق عليها في تلك الصائفة حيث كان على رأس قوة تتألف من 500 فارس و 300 جندي مشاة واستطاع من خلال هذه الحملة أن يحرض كل القبائل.

وكان سكان مدينة الاغواط وعلى رأسهم بن ناصر بن شهرة مستعدين لتنفيذ هذه الخطة، فهم في انتظار وصول القوافل المحملة بالقمح والمؤن قبل القيام بأي عمل ضد الاستعمار وبعد وصول ما كان منتظر وبتاريخ 29 أكتوبر 1852 قام سكان المدينة بمحاصرة جنود الحامية

1- نفسه.

2- نفسه.

3- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص227.

4- نفسه، ص228.

5- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الثالث.

الفرنسية بالمدينة وعلى رأسهم الملازم بن حميدة، فجردوهم من أسلحتهم وطردوهم من المدينة بتاريخ 31 نوفمبر 1852[1].

زود القائد العام قوات "الجنرال يوسف" بسريتين من القناصة وسريتين من الصبايحية وكتيبة من الرماة، وكلفه بتعقب المقاومين بن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله وكذلك "فان" قائد مقاطعة إقليم قسنطينة زوده بقوات[2].

وحاولت السلطات الاستعمارية محاصرة الحدود التي ينشطان بها بالإضافة إلى تجنيد القوات التي سبق ذكرها، توجه الجنرال "بيليسي"قائد مقاطعة وهران رفقة الجنرال "بوسكارين" إلى البيض على رأس قوة مجموعها 2890 جندي، وقاما ببناء مركز قيادة هناك يؤمن المؤونة للعمليات العسكرية وقد عين الحاكم العام "المارشال راندون" الجنرال بيليسي قائدا عاما لجميع القوات العسكرية العاملة في الجنوب[3].

وفور سماع الجنرال يوسف ما حدث من ثورة سكان الاغواط على جنود الحامية، حتى تجهز وقصد الأغواط على رأس قوة كبيرة تقدر ب 20 ألف جندي، وفي تلك الأثناء كانت وفود المقاومين تصل إلى مقر القائد بن ناصر بن شهرة في قصر الحيران فحاول الجنرال يوسف قطع الطريق على هذا الوفد فعسكر في "ميروسة"على بعد 15 ميل من قوات بن ناصر بن شهرة بتاريخ 18 نوفمبر وفي اليوم الثاني واصل الزحف حتى لم يبقى له سوى ميلين[4].

وأمام هذا التصعيد قرر بن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله الزحق بقوة على موقع العدو حيث جرت معركة من أكبر المعارك التي شهدتها المنطقة يوم 21 نوفمبر تكبد فيها العدو خسائر كبيرة[5].

ثم تراجع الجنرال يوسف إلى قصر العسافية، في حين دخل الثوار إلى مدينة الأغواط وبدأو على الفور في عمليات التحصين والتحضير للمواجهة الحاسمة مع العدو، ولم تستطيع السلطات الاستعمارية السيطرة عليها إلا بعد أن جيش لها خيرة رجاله وبأعداد كبيرة[1].

1- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص228.

2- نفسه، ص228.

3- عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص229.

4- نفسه، ص230.

5- نفسه، ص230.

فقد أحاطت القوات الغازية المدينة من كل جوانبها[2]، وقد حدثت عدة مواجهات بين تاريخ 21 نوفمبر إلى غاية 2 ديسمبر تاريخ الهجوم المكثف، والذي استعمل فيه الفرنسيون تلك الأعداد الضخمة من الجنود وجرت المعركة الفاصلة من 2 إلى 4 ديسمبر 1852 تاريخ سقوط مدينة الأغواط بعد استماتة عظيمة ومقاومة عنيدة من قبل المقاومين[3]، وعلى رأسهم بن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله حيث جرح هذا الأخير وأخرجه بن ناصر بن شهرة من الحصارالمفروض على المدينة دون أن يعلم الجيش الفرنسي[4].

المبحث الرابع: الإبادة الجماعية بالأسلحة الكيماوية «هولوكوست» 1852

رغم الجرائم الفظيعة التي ارتكبتها فرنسا بمدينة الأغواط كما تثبت الحقائق، بغض النظر عن تقاريرهم العسكرية التي ترفع إبان الاحتلال، من 4 ديسمبر 1852 إلا أن الحكومة الفرنسية ترفض مجرد الاعتراف بها، وليس الاعتذار عنها، ولا زالت هذه التقارير معروضة بالأرشيف الفرنسي[5].

استعملت فرنسا أساليب وحشية القصد منها الترهيب والتخويف إلى حد ارتكاب مجازر جماعية في 4 ديسمبر 1852، حيث تعرضت مدينة الأغواط إلى إبادة جماعية، كما أن القيادة الفرنسية بأنفسهم يسمونها «بالهولوكست»، وتؤكد بعض الدراسات المحلية على طبيعة المادة المستعملة على أنها «الكلوفورم» وهي دراسة للأستاذ صحبي بجامعة وهران، وكذلك كاظم العبودي العراقي الذي قام بهذا الطرح، وحسب أطروحاتهم يقولون كان استعمال شامل لهذا الغاز، وقاموا بدراسات وتحليل محتوى بعض الكتابات الفرنسية ومن خلال محتوها، نستنتج أن فرنسا استعملت أسلحة فتاكة التي كانت تحدث خسائر كبيرة في مدة وجيزة[6].

1- نفسه، ص231.

2- عيسى بوقرين، الهولوكست الفرنسي في الأغواط 4 ديسمبر 1852، مرجع سابق، ص48.

3- نفسه، ص44-45.

4- عيسى بوقرين، ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة في الجنوب، مرجع سابق، ص232.

5- كاظم العبودي، الأغواط أول مدينة تعرضت لهولوكست فرنسي في العالم، مقال الأمة العربية، 9-8-2009، ص54.

6- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الثاني.

ويؤكد الأستاذ صحبي أن أول معركة جرت فيها سلاح المدفعية في مدينة الأغواط (**أنظر الملحق رقم 10**) في 4 ديسمبر 1852 على الساعة 7 صباحا هجوما مدفعيا عن طريق وضع «الكلوفورم» وهي مادة كيمياوية، وضعها في ذخيرة المدفع وهذه المادة هي معروفة تؤدي بتخذير البشر وشل أعضائهم بقوة تأثيرها عى النشاط الدماغي، وبعد ذلك تم وضع الكثير من المواطنين العزل داخل أكياس وحرقهم أحياء مخذرين، كما أقره تقرير فرنسي رفعه "أوكينالبودانوس"إلى قيادة الأكان الفرنسية للمارشال "فيالتيه"فيما يخص التجربة الكيماوية والتقرير موجود لحد الأن بالأرشيف الفرنسي ما يقارب 60 صفحة كتبت سنة 1853[1].

كانت الحملة على مدينة الأغواط بقيادة الجنرالات "بوسكارين، بيليسي، ماري مونش، جوزيف برنستانتي"، أسفرت على استشهاد ثلثي سكانها أي ما يفوق 2500 شهيد من بين 3000 ساكن، كما أن الاستعمار الفرنسي تكبد خسائر بشرية وخيمة، رسخها جنده بمذكراتهم حتى هذا اليوم، حيث أسفر على مقتل الجنرال بوسكارين بالإضافة إلى 10 من كبار الضباط[2].

وهذه الإحصائيات فرنسية، كما نعلم أن كتاب التاريخ الفرنسيين عادة ما يقزمون العدد فهم لا يمدوننا بأرقام حقيقية عن القتلى والجرحى[3].

فها هو العقيد "بانPein أحد المشاركين في الحملة يقول في كتابه رسائل عائلية «Lettres Famileres»: «المذبحة كانت بشعة، الشوارع مغطاة بالجثث وحسب أفضل الإحصائيات فإن عدد القتلى قد بلغ 2300 قتيل، ما بين رجال ونساء وأطفال، أما عدد الجرحى فلا نعلمه، فقد كان الجنود الفرنسيون مثل القطط ينتقلون من بيت إلى بيت ويطلقون النار دون تميز من حيث السن والجنس، وعندما أخفي كل الموتى لم يتبقى في المدينة سوى عساكر الحملة، وكانت كل البيوت فارغة من أفقرها إلى أغناها »[4].

1- كاظم العبودي، المرجع السابق، ص54.

2- نفسه، ص55.

3- عام الخلية، المرجع السابق، الجزء الثالث.

4- عيسى بوقرين، الهولوكست الفرنسي في الأغواط، المرجع السابق، ص45.

كانت المجزرة رهيبة، المساكن والخيم والأزقة والطرقات مليئة بجثث الموتى، وأحصيت أكثر من 2300 قتيل بين رجال ونساء وأطفال كما يذكر الملازم "مونجا"Mangin في كتابه ملاحظات حول تاريخ الأغواط (Notes SorLhistoire De Laghouat) أن عدد القتلى وصل إلى 2500 قتيل وبأن عدد الجرحى غير معلوم، ومنهم من استطاع الفرار من الحصار[1].

وهذا يدل على بربرية وغصب الجيش الفرنسي وصلت إلى أن البعض من السكان اختفوا في الآبار، وبعدها عاد الجنود الفرنسيون وقتلوا الأطفال الذكور، الأشياء التي استعملوها ليست منطقية ولا تدخل في تفكير الإنسان الواعي وهذا دليل على الهمجية وعدم التحضر[2].

بعث الضباط الفرنسيين مناديا خارج أسوار المدينة أن فرنسا أعطت الأمان حتى يخرج من بقوا أحياء، من أجل القضاء عليهم وبالفعل تم القبض على كبار الأغواط وتم وضعهم في الشكاير وحرقهم في كاف الزياش.

يا سيلني على عام الشكاير ..... كاف الزياش يوريك خدعة للمان.[3]

كما أن الفرنسيين وضعوا الضحايا في أكياس غير نافذة مشبعة بأبخرة "الكلوروفورم" لتشلهم وتخنقهم وشل مقاومتهم في الأكياس أمام الناس، ليتم نقل الأكياس إلى الغابات والأحراش القريبة بهدف الترهيب وزرع الرعب في قلوب سكان المدن والأرياف الأخرى، وتم حرقهم قرب وادي مزي ورميت ما يقارب 256 جثة في الآبار[4].

يقول الحاج قويرربوعامر حفيد بوعامرقوير أحد شهداء المعركة «لم يستطيعوا الذهاب إلى جبل الشهداء لمدة ستة أشهر من أجل رؤية الذين حرقوا بسبب الحراسة والرائحة المنبعثة من جهة الواد»[5].

1- نفسه، ص45.

2- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الأول.

3- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الثالث.

4- ق.و، أول جريمة إبادة بالأسلحة الكيماوية حدثت في الأغواط عام 1852 نفذها الاستعمار الفرنسي لاول مرة في التاريخ ضد المواطنين الجزائريين، الفجر، 20-12-2018.

5عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الثالث.

ويقول الجنرال "بان" وهو يصف الإبادة في كتابه مذكرات يتكلم على مدينة الأغواط ويفتخر بانجازاته في المدينة ويقول: "أن عدد القتلى لا يمكن أن يعد، الجثث كانت منتشرة في الشوارع أكواما مكدسة ، وأن الكلاب ليلا لتنهش أشلائها"[1].

ويقول "فرومنتا" في كتابه ضيف في الصحراء Le Sahara"Unêtê"زار مدينة الأغواط في شهر جوان 1853، وقبل أن يصل إلى مدينة الأغواط يقول أن هذه المدينة تفوح منها رائحة الموت وقال: «لقد مشينا فوق الدماء فيما كانت الجثث تعيقنا على المرور وكأنها مدينة عرفت الموت منذ زمن طويل، لم يبقى أي شخص في المدينة ما عدا نحو 1200 رجل من الحامية، لقد هرب منها الأحياء وحتى الكلاب هاجرت و لم تعد»[2].

أقيم للذين بقوا من نساء وأطفال والجرحى محتشد وفرضت السلطات الفرنسية حصارا مطبقا عانوا فيه الجوع والمرض والكثير منهم مات[3].

يقول "فرومنتا": «جميع الأملاك مصادرة، ووضعت في عهدت حارس قضائي أما فيما يخص تلك الغنائم العظيمة من السجاد والأسلحة والحلي.... فيمكن القول أنه لم يبقى منها شيئ في الأغواط.... كل البيوت فارغة من أفقرها إلى أغناها وتخالها مدينة رحل كل ساكينها»[4].

ولقد سمي هذا اليوم في الذاكرة الشعبية **بعام الخلية**لأن المدينة خلت من سكانها، كما يطلق عليه اسم **عام الشكاير (أنظر الملحق رقم 11)** واصفا لإحراق فرنسا أعيان المدينة أحياء داخل هاته الأكياس، وسمي أيضا **بعام النكبة.**

ولقد خلد عام الخلية العديد من الأمثال والقصائد الشعبية حيث يقول أحدهم:

وأحكي عام الخلية ..... فنيت نص السكان رجال ونسوان

يا مسلط أمحاينك على بلادي .... ما رحمت ناس ما رحمت صبيان

قطعت الأشجار وقتلت الزهدي ..... وذبحت حتى لي كان راقد سقمان

الأغواط نور المعلوم نور البوادي ..... حرقت الشكاير بالنيران

1- عيسى بوقرين، الهولوكست الفرنسي في الأغواط، مرجع سابق، ص36.

2- أوجاع الذاكرة، مرجع سابق.

3- نفسه.

4- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الأول.

بالغازات الكيماوية يا تنكادي ..... ثلث رباع فناو من عز السكان[1].

الأسلحة الكيماوية التي زعمت فرنسا أنها استعملت أول مرة في الحرب العالمية الأولى ولكنها كذبت على عدم امتلكها للتقنيات الكيماوية من قبل، إلى أن الوثائق والتقارير الفرنسية بذاتها تكذب هذا الإدعاء، البحوث التي نشرتها العالم الكيماوي "قاي أوساك" بداية عام 1881 تدل على الإلمام التام بتقنية تمديد الغازات ضف إلى ذلك تعاونه الدائم مع سلاح المدفعية في تطوير الأسلحة، ضف إلى ذلك وجود مناشير سرية لوزارة الحربية أن ذاك حول طبيعة الغازات وتأثيرها وكيفية الوقاية منها، وكل المواثيق والمعاهدات التي مضت عليهم فرنسا للحد من استعمال السلاح الكيماوي بداية من 1874 بما يعرف باتفاقية "بروكسل" وبعدها اتفاقية "لاهاي" سنة 1899 كل هذه دلائل قطعية على تمكن الألة الحربية الفرنسية من السلاح الكيماوي واستعماله وتجربته في الأغواط في ديسمبر 1852.

1- عام الخلية، مرجع سابق، الجزء الثالث.

الفصل الثالث:

المجازر الفرنسية في العرف الدولي

الجرائم الفرنسية في العرف الدولي:

المبحث الأول: مفهوم العرف الدولي

إن الفقرة 2 من المادة 38 من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية المقتبسة من الصيغة السابقة لنظام محكمة العدل الدولية الدائمة المحدثة سنة 1920 ،تعتبر العرف الدولي بمثابة حجة ناجمة عن التعامل العام الذي له قوة القانون، وتعتبر أيضا العرف ، وسنبحث تبعا ماهية مصدرا من مصادر حقوق الدول والتزاماتها في علاقاتها المتبادلة العرف الدولي على النحو التالي[1]:

أولا- تعريف العرف الدولي :لقد وردت في سبيل إعطاء تعريف للعرف الدولي عدة محاولات فقهية، سعى من خلالها فقهاء القانون الدولي إلى إعطاء تعريف جامع ومانع له، ولكننا سنكتفي بعرض أهم التعريفات التي وردت في هذا الصدد على النحو التالي[2]:

1- تعريف عزت مصطفى الدسوقي :لقد عرف عزت مصطفى الدسوقي العرف الدولي على أنه «مجموعة من الأحكام القانونية التي نشأت في المجتمع الدولي، بسبب تكرار إتباع الدول لها حتى استقرت واعتقدت الدول بأن هذه القواعد ملزمة وواجبة الإتباع»، بحيث أن جانبا من الفقه الدولي يرى بأن العرف يعتبر اتفاقا لا يختلف عن المعاهدات إلا في كونه اتفاق ضمني، ويترتب على ذلك أن الإرادة المنشئة للقاعدة القانونية العرفية يتم التعبير عنها من جانب الدول بواسطة سلوكها المتبادل، وأنه يلزم دائما الرجوع إلى هذا السلوك الشخصي الذي يعد بمثابة الركن المادي للقاعد العرفية.

2-تعريف عبد الكريم علوان :يعرفه بأنه مجموعة من الأحكام القانونية التي انبثقت عن عادات وأعراف خاصة بعدد صغير من الدول، ثم تبنتها دول أخرى بالنظر إلى فائدتها بحيث انتهى قبولها – بوجه عام في النهاية – إلى قواعد جديدة في القانون تنطوي على التزامات معينة، وفي حالات أخرى انبثقت عن إحدى العادات التي كانت تمارسها دولة قوية كانت تفرض إرادتها على جاراتها بصدد مسألة معينة، وكانت بلدان أخرى تقبل في النهاية بتلك السياسة

1- عباس ماضوي، المصادر التقليدية غير الاتفاقية للقانون الدولي العام ماهيتها وحجيتها، مذكرة لنيل ماجستير في الحقوق تخصص قانون دولي عام، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013، ص49.

2- نفسه، ص50-51.

والممارسة دون اعتراض أو احتجاج، وحين كان عدد الدول الموافقة يصل إلى نسب عالية كانت تنشأ قاعدة جديدة في القانون، ويجب ألا يغيب عن البال أن مجرد الاستعمال بين الدول يستند في جوهره إلى الكياسة والمجاملة دون أن يتميز بطابع إلزامي.

بما أنّ الاحتلال يعتبر حالة مؤقتة، فلا يجوز لدولة الاحتلال التصرف بالأراضي التي تمارس عليها سلطتها، كما لا يجوز لها، وهو الأهم هنا أن تمس بالضمانات والحقوق التي يستفيد منها الأفراد والمدنيون . وعليه واستناد لنص المادة 43 من لائحة لاهاي لعام 1907 يتوجب على سلطات الدولة المحتلة أن تبقي التنظيم الإداري والقضائي للإقليم المحتل قائما، لأنه تنظيم يستعان به على حسن سير المرافق العامة للسكان، وأيضاً استمرار حياتهم بشكل عادي،ونفس المادة فرضت على السلطة المحتلة، أن تتخذ كل التدابير والإجراءات لإعادة الأمن والنظام واحترام القوانين المعمول بها في الأرض المحتلة، بما يتعين عليها استعادة الحياة الاقتصادية والاجتماعية إلى أقرب شكل كانت عليه قبل الاحتلال، إن حالة الاحتلال لا تكسب السلطة المحتلة أي سلطة سيادية على الأرض[1].

إنّ دولة الاحتلال ليست مطلقة اليدين في استخدام ما تشاء من القوة أو الإجراءات أو السياسات في إدارتها للأراضي المحتلة، ويجب على الدوام أن تراعي إلى أقصى حد مصالح السكان المدنيين وحماية ممتلكاتهم، وألاّ تغير من الوضع القانوني لتلك الأراضي. إنّ أهمية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية سواء بالنسبة للدول أو الأفراد أمر لا يخفي على أحد، وتزداد أهمية هذه الحقوق والضمانات أثناء النزاعات المسلحة ومن خلال الممارسة. اتضح أن الدول المحتلة تسعى لتحقيق أهدافها المتمثلة في الإبعاد والترحيل وتغيير التكوين الديمغرافي للسكان، وذلك باستعمال سياسة شاملة، بما فيها الأساليب الاقتصادية والاجتماعية. رغم أنّ المادتين 46 و52 من لائحة لاهاي لعام 1907 فرضتا، احترام الملكية الخاصة وانه لا يمكن مصادرتها[2].

1- سمير شوقي، جرائم الاحتلال الفرنسي على ضوء الأعراف الإنسانية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة سطيف02، العدد الرابع، 2015، ص16-17.

2- نفسه، ص17.

المبحث الثاني: تطبيق القواعد الإنسانية العرفية على جرائم الاحتلال الفرنسي.

مفهومها: إن المسؤولية الجنائية الدولية للفرد مفادها أن الأفراد هم وحدهم المسئولون جنائيا كونهم يتمتعون بالإرادة والتمييز، وقادرون على ارتكاب الجريمة، وبناءا على ذلك فإن أي شخص ارتكب عملا يشكل جريمة طبقا للقانون الدولي يكون مسئولا جزائيا[1].

تقوم المسؤولية الجنائية الدولية للفرد في حق أي شخص بغض النظر عن منصبه أو رتبته في قوات بلاده المسلحة، فالعبرة بارتكابه الفعل المجرم دوليا، فمن ثبتت في حقه ارتكاب جريمة ضد الإنسانية بصفته فاعلا أصليا أو شريكا أو مساهما فيها بالإعداد أو التحريض أو المساعدة يكون مسئولا مسؤولية شخصية جنائية ويخضع للمحاكمة سواء إحدى المحاكم الوطنية أو المحكمة الجنائية الدولية[2].

يترتب عن انتهاك فرنسا لقواعد وأحكام القانون الدولي الإنساني العرفي إثارة المسؤولية الدولية عن تلك الانتهاكات. وتمثل العدالة الجنائية الدولية أحد الآليات الأساسية للمعاقبة على التجاوزات والانتهاكات الجسيمة للقانون الإنساني حيث شكل القضاء الجنائي الدولي وسيلة لمحاربة الإفلات من العقاب .على الر غم من فظاعة الانتهاكات، ظلت فرنسا ترفض الاعتراف بارتكاب تلك الجرائم، رغم الشواهد والاعترافات من مرتكبي تلك الجرائم من مسئولين مدنيين وقادة عسكريين، بل ذهب بها الأمر إلى استصدار قانون (قانون 23 فيفري 2005) يمجد الاستعمار وبالتالي تبرير ارتكاب تلك الجرائم وعدم متابعة المسئولين عنها، و أيضا إنكار مسؤوليتها كدولة عن تعويض الأضرار التي تسببت فيها على مدار 132 سنة أو يزيد[3].

يعد الاختصاص العالمي من أهمّ وسائل العدالة الجنائية، فهو يمنح الدول سلطة محاكمة مرتكبي الجرائم الخطيرة، حتى لو لم يكن للدول أي صلة بالمتهمين أو الأفعال التي ارتكبوها، وبمعنى آخر، فإنّ الشخص المتهم بارتكاب مخالفة خطيرة للقانون الإنساني يمكن مقاضاته أمام أي محكمة في أي دولة، إنّ الهدف من الاختصاص العالمي هو ملئ أي ثغرة في القانون الدولي تتعلق بتطبيق نظام

1- إلياس زيتوني، جرائم ضد الإنسانية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الحقوق، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015، ص71.

2- نفسه، ص71.

3- سمير شوقي، مرجع سابق، ص20.

العقوبات على ارتكاب "جرائم الحرب" أو "الجرائم ضد الإنسانية" و"جرائم الإبادة والتعذيب"..الخ،إنّ ممارسة الاختصاص العالمي تعتبر الأسلوب الأكثر فعالية على المستوى الدولي حاليا بشأن توقيع العقوبات على مرتكبي الجرائم الأكثر خطورة. وقد تمّ دمج هذه الممارسة في العديد من الاتفاقيات الدولية مثل اتفاقية مناهضة التعذيب لسنة 1984 ،حيث لضحايا هذه الجرائم تقديم شكوى أمام أيّ محكمة محلية في دولة أجنبية، شريطة أن يكون الجاني المزعوم متواجدا في إقليم خاضع لسلطة اختصاص تلك الدولة وتكون الدولة المعنية قد دمجت أحكام تلك الاتفاقية في قانونها الداخلي[1].

غير أنّ ممارسة الدول للاختصاص العالمي ضد فرنسا تثير العديد من الصعوبات و الإشكاليات ذات الطابع القانوني وحتى السياسي، لأنّ الأمر يتعلق عند ممارسة هذا الإجراء بمعاقبة أو مساءلة جنائية لأشخاص رسميين أمام محاكم محلية تابعة لدولة أجنبية، وهو ما يبدوا للوهلة الأولى مناقضا لمبدأ الإرادية والمساواة في السيادة بين الدول في القانون الدولي، باختصار إنّ الدول من خلال ممارساتها لم تكن مستعدة للتخلي عن صلاحياتها والمتمثلة في القيام بمهمة العقاب بنفسها على مستوى نظامها الداخلي، خاصة إذا تعلق الأمر برؤساء الدول وكل من يقوم مقامهم، غير أنّ تشدد الدول التي ترفض الاختصاص العالمي تشدّد على أن الحصانة من الاختصاص العالمي التي يتمتع بها الرسميين لا تعني أنهم يتمتعون بالإفلات من العقاب، فالحصانة من الاختصاص الجنائي العالمي لا تعني الحصانة من المسؤولية الجنائية الفردية فهذين المفهومين منفصلان تماما. ذلك أنّ منع القاضي الوطني لدولة أجنبية من الاختصاص لا يعني الإعفاء من العقوبة أمام القضاء الجنائي الدولي المختص[2].

1- سمير شوقي، مرجع سابق، ص20.

2- نفسه، ص21.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على انتهاك الاحتلال الفرنسي للقانون الإنساني العرفي

ينص احد المبادئ العامة في القانون الدولي أن أيعمل غير شرعي أو انتهاك لالتزام بموجب القانون الدولي يؤدي إلى التزام بجبر الأضرار. ويتمثل هدف جبر الأضرار، في القضاء بقدر الإمكان على العواقب المترتبة على العمل غير الشرعي واستعادة الوضع الذي كان يمكن وجوده في حال عدم ارتكاب هذا العمل[1].

إنّ هذه المبادئ العامة تنطبق على انتهاكات القانون الدولي الإنساني، وقد تم إرساء ذلك الحكم صراحة منذ فترة طويلة تعود إلى عام 1907 في اتفاقية لاهاي الرابعة المتعلقة باحترام قوانين وأعراف الحرب البرية، والتي ألزمت مادتها الثالثة الطرف المحارب الذي يخل بأحكامها دفع تعويض إذا اقتضت الحاجة، كما يكون مسئولا عن جميع الأعمال التي يرتكبها أشخاص ينتمون إلى قواته المسلحة وتضم المادة 91 من البروتوكول الإضافي الأول قاعدة شديدة الشبه بالمادة 3 لعام 1907.هذا دون أن ننسى أنّ الحق في التعويض وجبر الضرر يتأسس أيضا على قواعد حقوق الإنسان، التي طوّرت حق الضحايا في التعويض جرّاء ما لحقهم من ضرر.

يمكن أن يتخذ جبر الأضرار عن انتهاكات القانون الإنساني أشكالا وصور مختلفة، وأهمها رد الحقوق والتعويض المالي، ومع ذلك يمكن من جهة أخرى أن تطبق جميع صور التعويض في مقابل انتهاك بعينه[2].

1- سمير شوقي، مرجع سابق، ص21.

2- نفسه، ص22.

المبحث الرابع: أساس التعويض في القانون الدولي الإنساني

1-التعويض العيني: أكثر الأشكال ملائمة يعد التعويض العيني الصورة الأصلية لإصلاح الضرر[1]، ذلك تعويضا عينيا إلى ما كانت عليه شريطة ألا يكون ذلك مستحيلا ماديا، حيث نص البند الثالث من البروتكول الأول لاتفاقية لاهاي 1954 على وجوب إعادة الممتلكات الثقافية التي جرت مصادرتها إلى بلدها الأصلية بعد انتهاء العملية العسكرية، وهو نفس ما ذهبت إليه القاعدة العرفية رقم 41، كما نصت بعض الاتفاقيات المعقودة بعد الحرب العالمية الثانية على رد الممتلكات الثقافية المسروقة أو المنهوبة أو المصادرة[2].

2-التعويض المالي: مذكور في المادة 36مفادها التزام الدول بدفع مبلغ من المال في حال تعذر إعادة الوضع السابق، وهو يحدد بالاتفاق بين أطراف النزاع أو عن طريق التحكيم أو القضاء الدولي وفي الغالب يتم الاتفاق على التعويض نتيجة لمفاوضات تتم بين الأطراف المعنية، يعقبها اتفاق بين مقدار التعويض بحسب القيمة الذاتية للممتلكات الثقافية وليس القيمة الاقتصادية،ومرد ذلك اتصال تلك الممتلكات بمفهوم كيان الأمة وتراثها الحضاري الذي لا يمكن أن يعادله تعويض مادي[3].

1- نفسه، ص22.

2- حفيظة مستاوي، المسؤولية الدولية عن انتهاك قواعد حماية الممتلكات الثقافية في النزاعات المسلحة، مجلة العلوم القانونية والسياسية، عدد13، جوان 2016، ص136.

3- نفسه، 136.

الخاتمة

الخاتمة

إن فرنسا الاستعمارية قد جاءت إلى الجزائر بنية البقاء فيها وإلى الأبد، ولذلك عملت على تدمير كل ماله علاقة بالدولة الجزائرية، لأنه وكتحصيل حاصل لا يمكن لهم بناء الجزائر الفرنسية إلا إذا دمرت الجزائر الجزائرية، العربية البربرية المسلمة، ولتحقيق هذا الهدف فقد وجب إبادة الجزائريين، ولذلك نفذت السلطات الفرنسية خططا إجرامية لإبادة الجزائريين وعمدت إلى استخدام كل الإجراءات القمعية الممكنة والمتوفرة، لديها شملت كل فئات الشعب دون تمييز، إرتكبت السلطات الفرنسية مئات المجازر الجماعية بعدة وسائل وقوانين عقابية تتعارض مع القوانين والأعراف الدولية.

إن فرنسا الاستعمارية قد قتلن وأبدت من الجزائريين أكثر من 50 مليون نسمة، وهي جريمة لا تستطيع أن تتصور، كيف يستطيع الفرنسيون تحمل تبعاتها الأخلاقية، فمصطلح الإبادة الجماعية يستخدم في القانون الدولي للدلالة على الأفعال المرتكبة بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لمجموعة وطنية أو إثنية أو عرقية أو دينية، ويدخل تحت هذا الإطار القتل الممنهج لمجموعة سكان أو تهيئة الظروف والتي ستؤدي لا محالة إلى إبادتهم، وبصورة كلية أو جزئية كسياسة التجويع مثلا، إضافة إلى ما سبق فالقانون الدولي واضح فيما يخص هذه المسألة فيدخل تحتها أيضا زيادة على الإبادة الجماعية والتحريض المباشر والعلني على إرتكاب الإبادة الجماعية ومحاولة التواطؤ في الإبادة الجماعية، وإن تكون تلك الجريمة مرتكبة من قبل حكومة بلد ما ولذلك فإننا هنا نجد بأن كل أركان الجريمة الإبادة الجماعية متوفرة فيها إرتكبه الاستعمار الفرنسي من جرائم ضد الإنسانية في الجزائر وهو ما حدث وبصورة جلية لا لبس فيها، ففيها تمت عمليات القتل الجماعي للجزائريين، كما حدث في مختلف الجرائم المرتكبة في حق القبائل الجزائرية، كقبيلة أولاد رياح وبني صبيح والزعاطشة، وكذلك ما قام به الجيش الفرنسي الذي أباد قبيلة العوفية بأكملها وفي ليلة واحدة، مما حفز روح المقاومة لدى الجزائريين، وهذا بهدف الدفاع عن أرواحهم وعن أعراضهم وممتلكاتهم التي تنتهك وتنهب، وهذا الوضع هو الذي يبحث عنه الاستعمار ليجد مبررا لمصادرة أراضيهم

وإبادتهم، كما أنها لم تحترم المواثيق والعهود كقتلهم لأناس يحملون تصاريح مختومة بختم قادتهم، وقتلهم لأناس أعطتهم الأمان كالشيخ ربيعة شيخ قبيلة العوفية.

وكل هذه الحقائق تتطابق مع تعريف مصطلح الإبادة الجماعية في القانون الدولي، والسر وراء هذه الهمجية والبربرية معروف ونجده فيما قاله ألكسيس دو طوكفيل "إننا نقوم بحرب أكثر بربرية من العرب أنفسهم...."، ليم يستطيع الفرنسيون هزم العرب حربيا فهزموهم بالتدمير والجوع، وهم هنا ليسوا بجيش فاتح وإنما عبارة عن مجموعات من اللصوص وقطاع الطرق والمجرمين يمتلكون قوة عسكرية مكنتهم من تجسيد أعمالهم الشريرة والشيطانية الهمجية على أرض الواقع ضد النساء والأطفال والعجزة، كما أن الحقيقة تستمدها من الأرشيف والكتب التاريخية والتي تؤكد كلها على حدوث الإبادة الجماعية للجزائريين.

عمل المحتل الفرنسي بعدما تعذر عليه احتلال بوابة الصحراء الجزائرية الأغواط التي عاشت جريمة فرنسية إنسانية بكل المقاييس واستخدمت في هذه المذبحة مادة الكلوفورم.

حيث قصفت مدينة الأغواط بقذائف مدفعية كانت معبأة بمواد كيماوية سامة تمت خلال عمليات الهجوم عليها من قبل القوات الفرنسية، ليس بهدف احتلالها فقط بل لتشكيل في ذات الوقت سابقة حرب الإبادة من نوع جديد لم تعرفه الإنسانية، والقصد منه أيضا إحداث الصدمة أو الترهيب لإشاعة الخوف على نطاق واسع بين السكان المحليين.

إن الجرائم الفرنسية لم تؤخذ طابع السرية، فقد كانت ترتكب علنية وطبقها الجيش من الجندي إلى القائد، وكثيرا ما كانت تلك الجرائم موضع افتخار لهؤلاء المرتزقة في مراسلاتهم وتقاريرهم.

وفي تصريح بعض القادة وقفنا على أن الجيش الفرنسي في الجزائر تصرفوا بخلاف قواعد الاشتباك المعمول بها في الحروب، حيث كانوا يعمدون في كل مرة يتواجهون فيها مع أي مقاومة إلى أسلوب الإبادة والمذابح والتقتيل والتخريب والتدمير ونشر الرعب والخوف.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب باللغة العربية

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970.

2- أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2007.

3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، 1998.

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008.

1- إبراهيم سياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

2- إبراهيم لونيسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، 2012.

3- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، الطبعة4، بيروت-لبنان، 1980

4- الغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر -الخلفيات والأبعاد ، سلسلة المشارع الوطنة للبحث، دار هومة، الجزائر، 2007

5- أندري نوشي وأندري برنيان وأيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح، ومنصف عاشور، الأكاديمية الجزائرية للوثائق والمصادر التاريخية 95-98، شارع سبيستول، باريس، فرنسا، 1960.

1- بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

6- بوزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال "بيجو" إلى الجنرال " أوساريس"، دار الهمة بوزريعة الجزائر، 2015.

7- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.

8- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر- دراسات في المقاومة والاستعمار، مجلة 4، منشورات وزارة المجاهدين، 2009.

9- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة – تقديم وتعريف وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006.

10- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2002.

11- عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون مراجعة سهيل زكار، ج7، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1981.

12- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، طبعة 2، ديوان المطبوعات، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 1995.

13- يحي بوعزيز، وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله، دار الثقافة، العدد 33، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1997.

مذكرات الدكتوراه والماجستير

14- بن يوسف التلمساني، التوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2004-2005.

15- نجيب بوالماين،. الجريمة والمسألة السوسيولوجية دراسة بأبعادها السوسيو ثقافية والقانونية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة شعبة علم اجتماع التنمية،جامعة منتوري قسنطينة 2007-2008.

16- كريمة حرشوش، جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم (1832-1847)، شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران.

17- داوود شريفي، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب (1844-1912)، مذكرة ماجيستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2015-2016.

18- عباس ماضوي، المصادر التقليدية غير الاتفاقية للقانون الدولي العام ماهيتها وحجيتها، مذكرة لنيل ماجستير في الحقوق تخصص قانون دولي عام، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014.

مذكرات ماستر وليسانس

19- إخلاص علاق،مبارك الميلي ودوره الإصلاحي في منطقة الأغواط 1896-1945,مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر جامعة محمد خيضر ،بسكرة،1-07-2019.

20- خولة شلالي وسلمى كلاع، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر من خلال شهادات قادة الجيش الفرنسي 1830-1871، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ل.م.د، دفعة2، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2015-2016.

21- خديجة طبايبية وحليمة سعادة، الحركة الوطنية التيجانية في الجزائر خلال القرن 19م- الأغواط نموذجا، مذكرة ماستر في التاريخ العام، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2015-2016.

22- فوزية بن طوشة، المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء، مذكرة ماستر تخصص تاريخ حديث ومعاصر، 2015-2016.

23- إلياس زيتوني، جرائم ضد الإنسانية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الحقوق، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015.

24- بهيطيلة علي وبن صحراوي يحي، لهجة الاغواط وعلاقتها بالفصحى، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها، جامعة الأغواط، الدفعة2، 2010.

25- ياسر فركوس، محاضرات في التاريخ المعاصر، مطبوعة موجهة لطلبة السنة أولى، جذع مشترك علوم إنسانية، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2018-2019.

مجلات ودوريات

26- محمود علالي، إهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية، الأغواط نموذجا، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد 02.

27- عثمان زقب، إبادة الجزائريين خلال الاحتلال الفرنسي بين الأفعال المعزولة والإستراتيجية الاستعمارية، مجلة البحوث والدراسات، العدد16، 2013.

28- ونوغي نبيل وعلاء اليوسفي، جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر جريمة الإبادة الجماعية أنموذجا، مجلة البحوث التاريخية، العدد 12، ج1، 2018.

29- سامية بن قوية، جريمة القتل والإبادة في القانون الدولي والفقه الإسلامي-جرائم الجيش الفرنسي في الجزائر نموذجا، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية السياسية والاقتصادية، المجلد 56، العدد 20، 2020.

30- منصور العمراني، جرائم ضد الإنسانية، مقالات الرأي، مطبوعة، 15-07-2018.

31- لونيسي إبراهيم، سياسة التعذيب في الجزائر وأهدافها، مجلة عصور، العدد الأول، وهران، جوان 2002.

32- ولد النية كريم، الاستيطان والنظام الإداري المحلي في الجزائر، بلدية عين تيموشنت المختلطة نموذجا.

33- شبلي شهرزاد، الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، دراسة كان التاريخية، العدد الحادي عشر، مارس 2011.

34- عيسى بوقرين، الهلوكوست الفرنسي في الأغواط 4 ديسمبر 1852، مجلة قضايا تاريخية، العدد11، جويلية 2019.

35- أحمد بوزيد قصيبة، ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871، مجلة الأصالة، العدد 06، جانفي، 1992.

36- عيسى بوقرين، ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب 1850-1875، مجلة الباحث، العدد، 17.

37- محمد سعيدي قاصري، دور القائد بن ناصر بن شهرة في ثورة الأمير محي الدين في الشرق الجزائري سنة 1871، مجلة المعارف. أ.حسين تواتي، بناصر بن شهرة والشريف بوشوشة، أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، العدد 04، ديسمبر 2014.

38- كاظم العبودي، الأغواط أول مدينة تعرضت لـــهولوكوست فرنسي في العالم، مقال الأمة العربية، 9-8-2009.

39- سمير شوقي، جرائم الاحتلال الفرنسي على ضوء الأعراف الإنسانية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة سطيف02، العدد الرابع، 2015، ص16-17.

40- حفيظة مستاوي، المسؤولية الدولية عن انتهاك قواعد حماية الممتلكات الثقافية في النزاعات المسلحة، مجلة العلوم القانونية والسياسية، عدد13، جوان 2016.

41- ق.و، أول جريمة إبادة بالأسلحة الكيماوية حدثت في الأغواط عام 1852 نفذها الاستعمار الفرنسي لاول مرة في التاريخ ضد المواطنين الجزائريين، الفجر، 20-12-2018، نشر في الفجر يوم 20-12-2008.

أفلام وثائقية ووثائق تاريخية

42- عام الخلية، فيلم وثائقي حول الإبادة الجماعية في الأغواط التي إرتكبتها فرنسا في الأغواط سنة 1852، وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، الجزء الأول، 2014-12-17.

43- عام الخلية، فيلم وثائقي حول الإبادة الجماعية في الأغواط التي إرتكبتها فرنسا في الأغواط سنة 1852، وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، الجزء الثاني، 2014 -12-17.

44- عام الخلية، فيلم وثائقي حول الإبادة الجماعية التي ارتكبتها فرنسا في ولاية الأغواط سنة 1852 من إنتاج وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، الجزء الثالث.

45- 2014-12-17.

46- أوجاع الذاكرة، فيلم وثائقي عن مجازر الاحتلال الفرنسي في الأغواط، الجزيرة الوثائقية، 2017-11-15.

مواقع الانترنت :

47- http://montada.echoroukonline.com/

48- https://www.marefa.org/

49- https://ar.wikipedia.org/wiki

50- https://archive.org/details/expditiondelagho00mare/page/n9/mode/2up

51- https://elmafatih.com//

الملاحق

الملحق رقم 1: مجزرة العوفية[1]

الملحق رقم 2: موقع ولاية الأغواط بالنسبة للجزائر[2]

[1] صورة مأخوذة من مقال حرر من طرف الباحث معمر أمين على موقع المفاتيح الرابط https://elmafatih.com/ /

[2] https://www.marefa.org/

الملحق رقم 03: الجنرال كلوزيل[1]

الملحق رقم 04 الدوق دوريفيقو[2]

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] المصدر نفسه.

الملحق رقم 5: الماريشال بيجو [1]

[1] https://www.marefa.org/

الملحق رقم 06: وثيقة تتضمن معلومات عن قصر العسافية، قصر الحيران، تاجموت، حويتة، عين ماضي، الأغواط وقبائل الحرازلية والأرباع.[1]

وثيقة تتضمن معلومات عن قصور الأغواط (العسافية/قصر الحيران/ تاجموت/ حويتة/ عين ماضي/الأغواط وقبائل الحرازلة والأرباع)

II. District_Oasis Des Ksour.

Villes et Villages.

El Aghouat (Laghouat) chef-lieu

[1] طبابيبة خديجة ، الحركة التجانية في الجزائر خلال القرن 19 م ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام جامعة قالمة ،2015-2016

الملحق رقم 07: هذه الوثيقة رسمت عام 1844 من طرف النقيب دي بان le Capitaine major Du Pinأثناء حملة ماري مونج إلى الأغواط في ماي 1844. وهي موجودة وملحقة بالتقرير الأصلي لهذه الحملة الذي أعده ماري مونج وهي من بين 12 رسما لقصور عين ماضي زمار تاجموت الحويطة.. وسوق الأغواط والفندق بالأغواط[1].

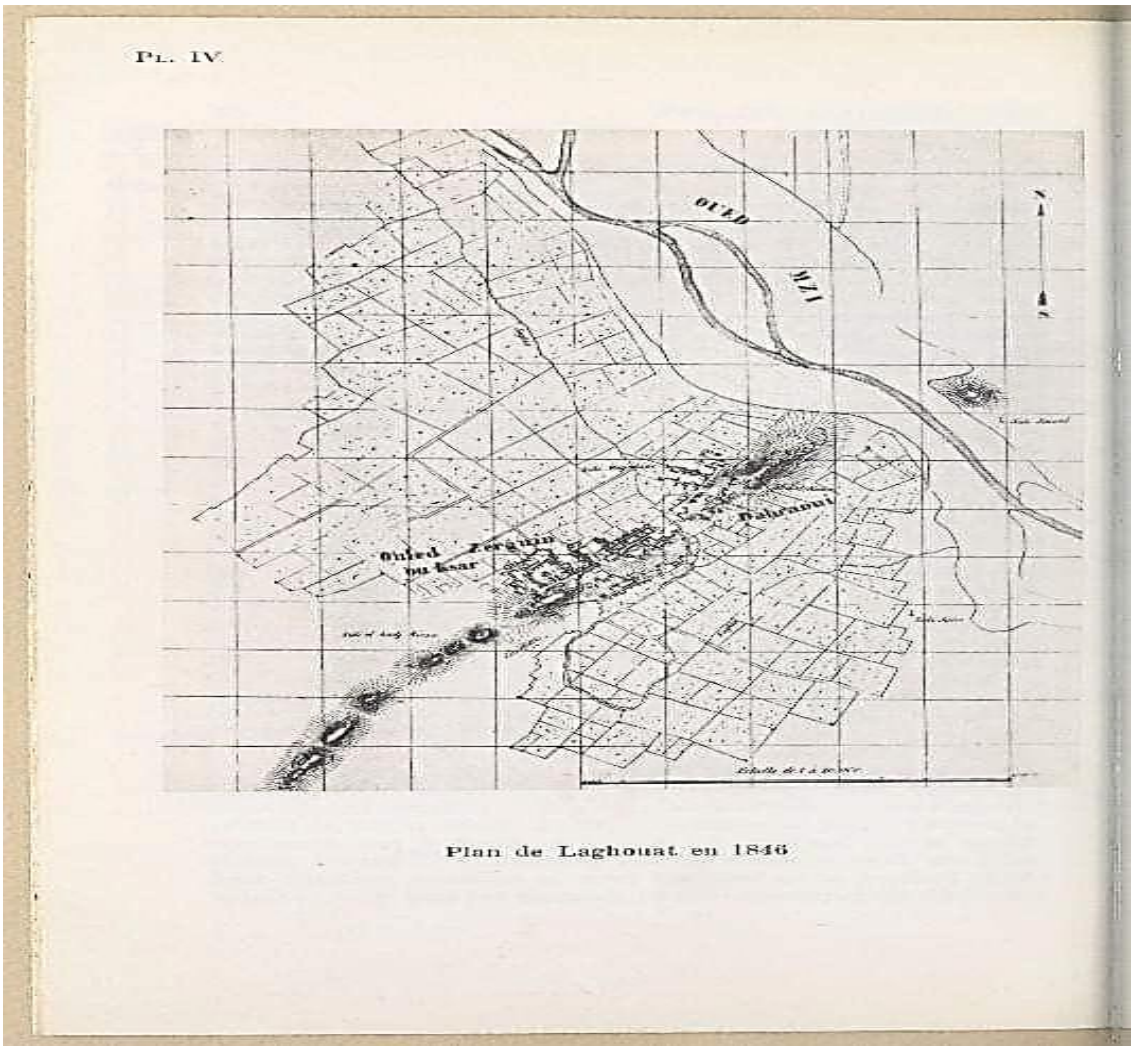

[1] Expédition de Laghouat, dirigée aux mois de mai et juin 1844
By Marey Monge, Guillaume Stanislas, comte de Péluze, 1796-1863

https://archive.org/details/expditiondelagho00mare/page/n9/mode/2up

الملحق رقم 09: تقرير عن حصار مدينة الأغواط ديسمبر 1852.[1]

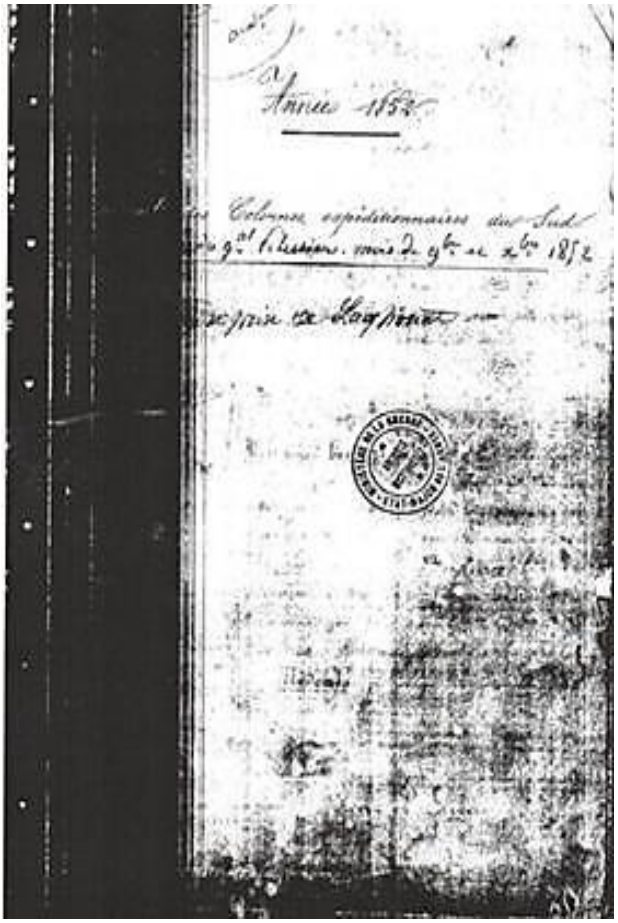

[1] /http://montada.echoroukonline.com

الملحق رقم 10: مقال حول الهولوكوست [1]

LETTRES DE

Proximité

M. Sohbi Ali - Sociologue

Entre effervescences et mécontentements

Pur plagiat et racontars sans fondement ni véracité (docus cum libro) de vouloir légitimer le témoignage irrationnel de missionnaires tels les Fromentin, Redan, Lavisse, et plus particulièrement Melia, personnage dont l'histoire ne trace aucune biographie, exclu par l'ordre de classification des maîtres, qui se voit attribuer des roses. Baudin disait: l'historien a le devoir de juger les évènements qu'il raconte.

L'article tiré du livre («Laghouat ou les maisons entourées de jardins») relate une péripétie péjorative très fausse des Aghouatis et rend éternel l'amour de Djohra, Ben Bellag, Ben Hamida et la belle femme juive, minimise la résistance lors de la prise de Laghouat, un rêve qui s'est réalisé pour la France et que les Romains n'ont pas osé entreprendre, d'après l'auteur. Quant aux affirmations mesquines sur le saint marabout, elles sont pures calomnies. Ce sage avait pour mission d'enseigner la foi, la spiritualité, la droiture, l'amour de mourir pour sa patrie: vouloir porter atteinte par cette tragédie d'aspect

[1] Laghouat Le 05 juillet 1961 »

« les Rois , les proies , et l'histoire des villageois .

LAGHOUAT du 02 au 04 Décembre 1852 (quotidien d'ORAN du lundi 13 octobre 2008)

Posté le 22 décembre 2013

الملحق رقم 11 : هولوكوست الجزائر – إبادة مدينة الأغواط- [1]

الخبر 17 | تاريخ | الجمعة 14 جويلية 2017 م الموافق لـ20 شوال 1438 هـ

أول جريمة نفذتها فرنسا يغض المجتمع الدولي الطرف عنها

"هولوكوست الجزائر"

إبادة مدينة الأغواط بـ"الكلوروفورم" ومجزرة في "الشكاير"

مكي أم السعد

● يرى الباحثون ضرورة الاستناد إلى الأسرار المتواصلة عبر الزمن جراء هذه المجازر التي خلفت آلاف الموتى من البشر والحيوانات والنباتات، وتوقفوا مليا عند الأخطار التي مست البيئة، ويستحيل معها إرجاعها إلى حالتها الأولى، باعتبار أن ذلك يتطلب العودة إلى "الذرة"، وانتقدوا عدم توفر مراكز أبحاث جزائرية تقدم دراسة موثقة كدليل إدانة من جرائم فرنسا للمنظمات الدولية.

جنود فرنسا أحرقوا الجزائريين كالثعالب في الكهوف

طالب الباحث في الهندسة النووية الأستاذ عمار منصوري، خلال الطبعة الثانية لليوم الدراسي المعنون "جرائم فرنسا الاستعمارية ضد البيئة في الجزائر: تجارب الأسلحة الكيميائية والبيولوجية واستعمالها نموذجا"، من تنظيم جمعية حماية البيئة وتهيئة الإقليم "الكوكب الأزرق" بالعلمة، بالتعاون مع المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954، المنظمة بدار الشباب العلمية صالح بوبنيدر، مؤخرا، طالب بإجراء تحقيق في الأضرار التي لحقت بالجزائر جراء الحرب التي دامت فرنسا ونيفا من الزمن، وما تزال بعد 55 سنة من الاستقلال تداعياتها تتوالى على الحجر والشجر والعباد، بدليل آثار التفجيرات النووية والمراكز التي استخدمتها لإجراء تجاربها النووية والكيماوية التي زعمت أنها "سلمية"، لكنها استخدمت من الجزائريين "فئران تجارب"، واستغلت الأراضي التي حولتها إلى "مساحات للموت البطيء"، فقد أعلن "لادلة" استخدام الأسلحة الكيماوي منذ بداية الاحتلال، وحتى الاستقلال، وهذا ما جعله يقول إن جنود فرنسا "أحرقوا الجزائريين كالثعالب في الكهوف... أحرقوا قبائل بكاملها... المحرقة بدأت في

عاد باحثون في الهندسة النووية والتاريخ والقانون إلى مجاز الاستعمار الفرنسي، معتبرين أن الجزائر أرضا، كائنات وشعبا، كانت سباقة في الاكتواء بـ"الهولوكوست" الفرنسي قبل أن يعرفه اليهود والفيتنام، حيث أبيدت قرى ومداشر عن آخرها بغازات "النابالم" و"الكلوروفورم"، وحاصر الجنود الناس في الكهوف كالثعالب، وأجريت التجارب عليهم رغم تعارضها والقانون الدولي، وقدموا في ذلك أمثلة عن إبادة مدينة الأغواط وحادثة "الشكاير" التي تضاهي في فظاعتها ما يحصل في الوقت الحالي في سوريا والعراق، وتحاول فرنسا التصدي له بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان، وهي في ذلك تكيل بمكيالين.

● الجزائر عجزت عن إنشاء مركز بحث يقدم دليلا ماديا للمنظمات الدولية لإدانة جرائم فرنسا

ضرر، ملزم بتعويض الضرر". وبالنسبة لحال الجزائر، فقد خلفت فرنسا - حسبه - مساحات واسعة مزروعة بالألغام والديناميت ويتوجب عليها نزعها وتنقية الأرض، وأضاف أنها أجرت تلوثا في منطقة "رقان"، وعليها إعادة الحالة إلى ما كانت عليه، أو اللجوء للتعويض النقدي المادي الذي سيقدره الخبراء.

تأخر صدور بروتوكولات البيئة حال دون عقاب فرنسا

أرجع الأستاذ حميداني سبب عدم أخذ ملف التجارب النووية وأساليب الحرب البيولوجية المعتمدة من السلطات الاستعمارية الفرنسية خلال الثورة بمحمل الجد، ولم تستطع الجزائر افتكاك حقه، سواء في التعويض المادي عن الضرر، أو تقنية مواقع إجراء التجارب، أرجعه إلى القوانين الدولية والنصوص المنظمة لاستعمال الأسلحة التي ظهرت في سنة 1948.

أما البروتوكولات المهتمة بالبيئة، فقد ظهرت في 1977، وهو ما جعل فرنسا تستفيد من هذا التأخر بحيث لا يمكن تطبيق القانون بأثر رجعي، وهو أمر مكنها من إخفاء جرائمها وإلى حد بعيد، كما أن خلفيات البروتوكولين المعنيين بحماية البيئة، يردا خصيصا عقب ما حصل في الفيتنام، وليس ما حصل في الجزائر.

فرنسا أبادت في "عام الخلية" 3700 مواطن بالأغواط

عاد الأستاذ حميداني بدوره إلى مجزرة الأغواط التي وقعت في 2 ديسمبر عام 1952، وقال إن فرنسا استخدمت فيها أسلحة "غير تقليدية" كيماوية، وقال إن فظاعة تلك الجادثة وما تلاها من جوانب عكرت حياة "الأغواطيين" وجعلتها مدونة في الموروث الشعبي باسم "عام الخلية" نظرا لآثارها الوخيمة، وقد قضت على كل شيء، فقد استعملت فرنسا هناك محلول بالكلوروفورم، فأبادت 3700 مواطنا، ما يعادل ثلاثة

[1] جريدة الخبر ، يومية وطنية جزائرية مقال نشر بتاريخ 14 جويلية 2017

الملحق رقم 12 : الحملة على الأغواط نوفمبر **1852** من خلال رسالة الجنرال يوسف

إلى الجنرال بيليسي[1]

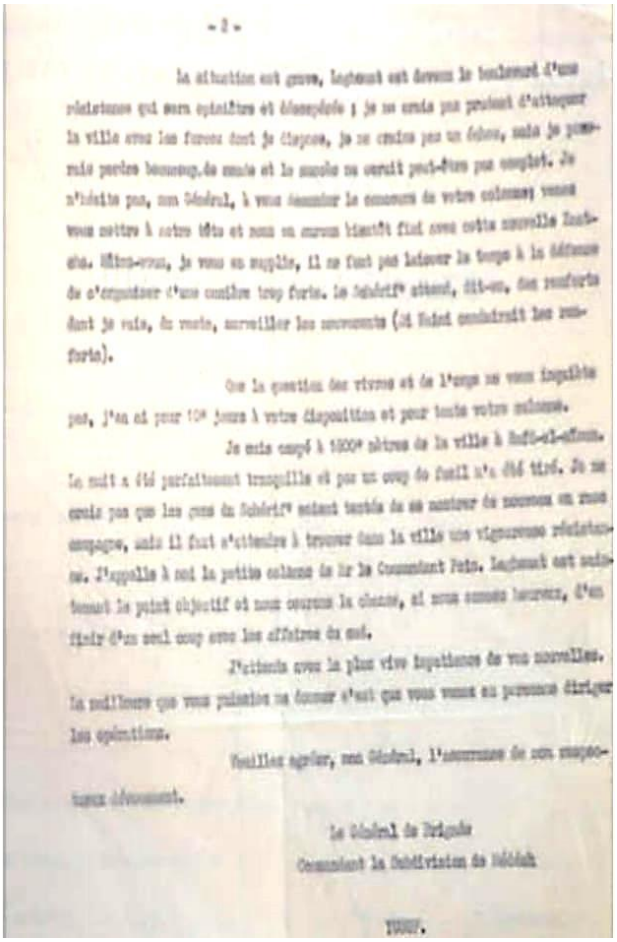

- 2 -

la situation est grave, Lagouat est devenu le boulevard d'une résistance qui sera opiniâtre et désespérée ; je ne compte pas pourtant d'attaquer la ville avec les forces dont je dispose, je ne compte pas un échec, mais je pense perdre beaucoup de monde et le succès ne serait peut-être pas complet. Je n'hésite pas, mon Général, à vous demander le concours de votre colonne; venez vous mettre à notre tête et nous en aurons bientôt fini avec cette nouvelle Zaatcha. Hâtez-vous, je vous en supplie, il ne faut pas laisser le temps à la défense de s'organiser d'une manière trop forte. Le Khalifa attend, dit-on, des renforts dont je vais, de mon côté, surveiller les mouvements (ils seront combattus par mes forts).

Que la question des vivres et de l'orge ne vous inquiète pas, j'en ai pour 10 jours à votre disposition et pour toute votre colonne.

Je suis campé à 1800 mètres de la ville à Bab-el-Aïoun. La nuit a été parfaitement tranquille et pas un coup de fusil n'a été tiré. Je ne crois pas que les gens du Khalifa soient tentés de me montrer de nouveau un mauvais visage, mais il faut s'attendre à trouver dans la ville une vigoureuse résistance. J'appelle à moi la petite colonne de Mr le Commandant Petit. Lagouat est notre point objectif et nous courons la chance, si nous sommes heureux, d'en finir d'un seul coup avec les affaires du sud.

J'attends avec la plus vive impatience de vos nouvelles. La meilleure que vous puissiez me donner c'est que vous vous en personne dirigez les opérations.

Veuillez agréer, mon Général, l'assurance de mon respectueux dévouement.

Le Général de Brigade
Commandant la Subdivision de Médéah

YUSUF.

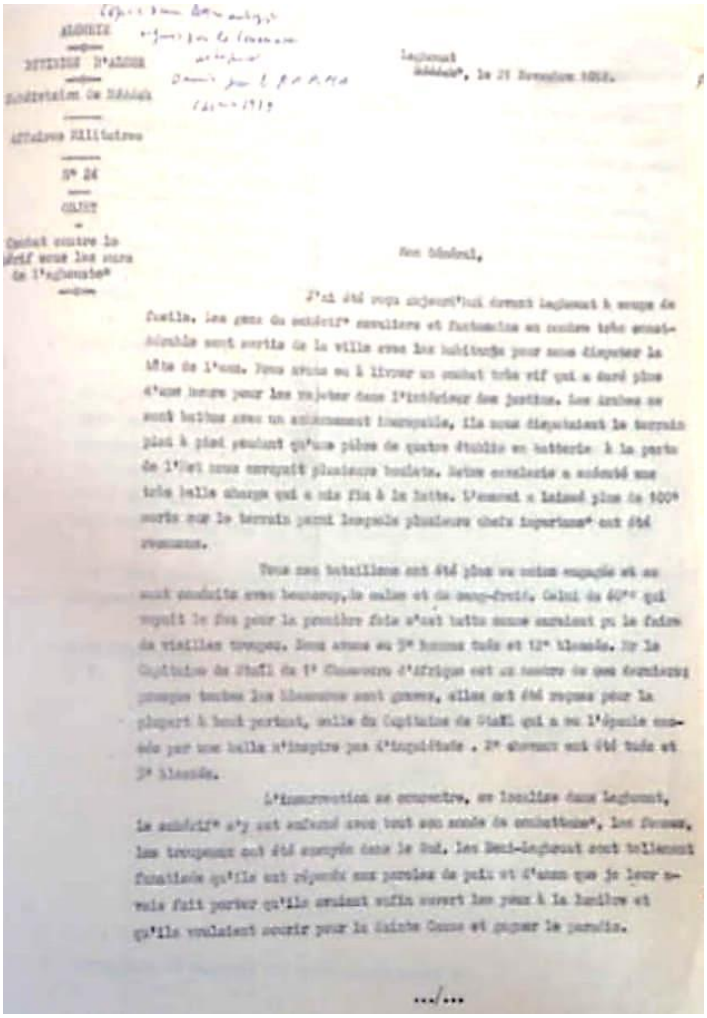

ALGERIE
DIVISION D'ALGER
Subdivision de Médéah
Affaires Arabes
N° 24
OBJET
Combat contre le Khalifa aux eaux de l'Aghouate

Lagouat
Médéah, le 21 Novembre 1852.

Mon Général,

J'ai été rejoint aujourd'hui devant Lagouat à marche de fusil. Les gens du méchant caravanier et fanatique en nombre très assez-nombreux sont sortis de la ville avec les habitants pour nous disputer la tête de l'eau. Nous avons eu à livrer un combat très vif qui a duré plus d'une heure pour les rejeter dans l'intérieur des jardins. Les Arabes se sont battus avec un acharnement incroyable. Ils nous disputaient le terrain pied à pied pendant qu'une pièce de quatre établie en batterie à la porte de l'Est nous envoyait plusieurs boulets. Notre cavalerie a exécuté une très belle charge qui a mis fin à la lutte. L'ennemi a laissé plus de 400 morts sur le terrain parmi lesquels plusieurs chefs importants ont été reconnus.

Nous nos bataillons ont été plus ou moins engagés et se sont conduits avec beaucoup de calme et de sang-froid. Celui du 40ème qui voyait le feu pour la première fois n'est battu comme auraient pu le faire de vieilles troupes. Nous avons eu 3 hommes tués et 12 blessés. Sur la Cavalerie du Chef de l'Escadron d'Afrique est un nombre de ses braves; presque toutes les blessures sont graves, elles ont été reçues pour la plupart à bout portant, celle du Capitaine de Chaël qui a eu l'épaule cassée par une balle n'inspire pas d'inquiétude . 2 chevaux ont été tués et 3 blessés.

L'insurrection se concentre, se localise dans Lagouat, le méchant s'y est enfermé avec tout son monde de combattants, les femmes, les troupeaux ont été emmenés dans le Sud. Les Beni-Laghouat sont tellement fanatisés qu'ils ont répondu aux paroles de paix et d'amnistie que je leur ai envoyé fait porter qu'ils voulaient enfin ouvrir les yeux à la lumière et qu'ils voulaient ouvrir pour la Sainte Cause et piquer le paradis.

.../...

[1] المجلة التاريخية الجزائرية العدد 01 أفريل 2017صفحة 71

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ-ب
الفصل التمهيدي: لمحة عن الإحتلال الفرنسي للجزائر	
المبحث الأول: بداية الجرائم الفرنسية في الجزائر منذ الإحتلال	7
المبحث الثاني: جغرافية مدينة الأغواط	12
المبحث الثالث: مفهوم الجرائم ضد الإنسانية	15
الفصل الأول: الجرائم الفرنسية في العوفية 1832	
المبحث الأول: أسباب المجزرة	20
المبحث الثاني: سياسة الإبادة والقمع الفرنسية	24
المبحث الثالث: المقاومة الشعبية	28
المبحث الرابع: نماذج عن جرائم بعض الجنرالات الفرنسيين بالجزائر 1830-1850	31
الفصل الثاني: المجازر الفرنسية في الأغواط 1852	
المبحث الأول: بدايات الاهتمام الفرنسي بالأغواط	41
المبحث الثاني: طبيعة القوات المحاصرة	50
المبحث الثالث: المقاومة الشعبية (مقاومة ابن ناصر بن شهرة)	53
المبحث الرابع: الإبادة الجماعية بالأسلحة الكيماوية «هولوكست» 1852	60
الفصل الثالث: المجازر الفرنسية في العرف الدولي	
المبحث الأول: مفهوم العرف الدولي	66
المبحث الثاني: تطبيق القواعد الانسانية العرفية على جرائم الاحتلال الفرنسي	68
المبحث الثالث: المسؤولية الجنائية عن جرائم الاحتلال الفرنسي	70
المبحث الرابع: أساس التعويض في القانون الدولي الإنساني	71
الخاتمة	73
قائمة المراجع	76
قائمة الملاحق	81
فهرس المحتويات	